بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلاميّة

كليّة الدراسات العُليا

كليّة اللّغة العربيّة

قسم الدراسات الأدبيّة والنقديّة

طيف الخيال للشريف المرتضى

دراسة أدبيّة تحليليّة نقديّة

بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة

تخصص الأدب والنقد

إعداد الطالب : بابكر عبد الرحمن الشيخ شمعون

إشراف الدكتور : فاروق الطيّب البشير

العام الجامعي

١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

((لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَخِذْنَا إنْ نَسِينَا أوْ أخْطَأْنَا رَبَّنَا ولاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرَاً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِين مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ واعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))

صدق الله العظيم

الآية ٢٨٦ من سورة البقرة

إهداء

إلى والدي ووالدتي بفضلهما إزدهرت سنيني ، وقويت شوكتي واشتدّ عودي .

إلى التي يندلق الوفاء من راحتيها حيث غمرتني بالاهتمام وكريم الرعاية حتّى أتممت ما بدأت .... زوجتي .

إلى شموس تعلمت منهنّ إنّ أجمل سنين العمر قادمة .... زهراتي (عزّة ، عهد ، سمر) شموع عمري ، اللّواتي جمّلن حياتي .

إلى أصدقائي ، كواكب أفاضل ، أعانوني كثيراً ، وتحّلوا مشقّة التصويب والتصحيح ، وكانوا لي عوناً كبيراً .

الباحث

شكر

الشكر لله من قبل ومن بعد الذي منّ عليّ بفضله ، وجزيل نعمه ، إلى أن أكملت هذا البحث الذي أرجو أن أكون قد وفيّت حقه .

والشكر موصول لأستاذي الجليل الدكتور فاروق الطيّب البشير الذي أشرف وأعان وقوّم ، وما بخل عليّ بعلمه الثر ، ولا بوقته الغالي إلى أن صار هذا البحث قطفاً دانياً .

والشكر للأستاذ الجليل التجاني سعيد الذي وجّهني ودلّني على كثير من المراجع أمهات الكتب التي أضناني البحث عنها في المكتبات .
والشكر موصول لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلاميّة متمثلة في أمينها وموظفيها وعمّالها .

كما الشكر إلى أسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة وأسرة مكتبة جامعة النيلين .

الباحث

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وهدانا إلى اقتفاء رسول الأنام محمّد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثمّ أمّا بعد :

يعدّ العصر العباسي من أبهى عصور الأدب العربيّ إزدهاراً ، حفل بالكثير من الأدباء والنقّاد ، حتي ليصعب علينا حصرهم ، وإنّ الشريف المرتضى يعدّ واحداً من أولئك الكتّاب الذين صنفوا وكتبوا أشعاراً ونقداً أثرى به المكتبة العربيّة ، فآثرت أن ألقي الضوء على بعض اسهاماته الأدبيّة والنقديّة .

موضوع البحث :

طيف الخيال للشريف المرتضى (دراسة أدبيّة تحليليّة نقديّة) .

أهميّة البحث :

١/ التعرّف على كتاب يعدّ عمدة في مجال الأدب والنقد .

٢/ التعرف علي طريقة الكتابة في أزهى عصور الأدب بتناول كتاب الشريف المرتضي .

٣/ التعرّف على كاتب ملأ أرجاء بلاد الشام علماً غزيراً .

٤/ دراسة كتاب طيف الخيال دراسة أدبيّة تحليليّة نقديّة .

أسباب اختيار الموضوع :

هنالك أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع من أهمها :

١/ الوقوف على ما احتواه موضوع طيف الخيال في الأدب العربي وقوفاً عليه في كتاب الشريف المرتضى ، وعرض نماذج لهذا الموضوع ودراسته والحكم على الأبيات الشعرية الوارة فيه ايجاباً وسلباً .

٢/ التعرّف على عصر وشخصيّة وحياة الشريف المرتضى .

٣/ الاستمتاع بما قيل شعراً في طيف الخيال الذي يعدّ ركيزة في المقدمات الشعرية عند العرب في عصرهم الجاهلي والإسلامي وغيرهما من عصور الأدب .

٤/ إبراز دور الشريف المرتضى وموقفه من شعراء وكتّاب الطيف والخيال .

٥/ إزالة ما علق بكتاب طيف الخيال من غبار إثر اهمال الباحثين لهذا الكتاب .

٦/ كثير من الباحثين يلتبس عليهم نسبة كتاب طيف الخيال أهو للشريف المرتضى أم لأخيه الشريف الرضي ، وقد بيّنت ذلك الأمر بالأدلّة في ثنايا هذا البحث .

حدود البحث :

ما بين دفتي كتاب طيف الخيال للشريف المرتضى ، مع الاستعانة ببعض امهات المراجع العربيّة .

المنهج المتّبع :

اتبعت في هذا البحث عدّ مناهج علميّة ، منها :

١/ المنهج التأريخي الذي وظّفته لعصر الشريف المرتضى وحياته .

٢/ المنهج الوصفي ، ووظفته لشرح الأبيات الشعريّة الواردة في كتاب طيف الخيال الشريف المرتضى ووالوقوف عليها بالعرض ، والتحليل ، والنقد .

الدراسات السابقة :

لم أعثر على من تناول بالبحث والدراسة كتاب طيف الخيال للشريف المرتضى ودراسته دراسة أدبيّة تحليليّة نقدية .

صعوبات البحث :

من الصعوبات التي واجهتها أثناء كتابة هذا البحث :

١/ قلّة المراجع التي تناولت طيف الخيال .

٢/ عناء التوثيق لبعض الأعلام النادرة الوجود في كتب التراجم .

٣/ المشاكل المعتادة التي يعانيها كل باحث ألا وهي المشاكل التي تصاحب طباعة وإخراج البحث من الحاسوب .

خطّة البحث :

قد اتبعت في هذا البحث خطة اشتملت على مقدمة وتمهيد ، وثلاثة فصول وختمته بخاتمة ، وفهارس عامة ، جاءت كما يلي :

الفصل الأوّل :الشريف المرتضى عصره وحياته وآثاره العلميّة ، واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأوّل : عصره .

المبحث الثاني : حياته .

المبحث الثالث : آثاره .

الفصل الثاني : تناول الشريف المرتضى للنصوص في كتابه ، واشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : النصوص في العصر الجاهلي .

المبحث الثاني : النصوص في صدر الإسلام .

المبحث الثالث : النصوص في العصر الأموي .

المبحث الرابع : نماذج من النصوص في العصر العبّاسي .

الفصل الثالث : الآراء النقديّة والموازنة عند الشريف المرتضى من خلال كتابه واشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأوّل : ما غلب من نصوص في كتابه .

المبحث الثاني : معايير الشريف المرتضى في اختيار النصوص الجيّدة .

المحث الثالث : الآراء النقديّة عند الشريف المرتضى .

المبحث الرابع : الموازنة عند الشريف المرتضى .

خاتمة : واشتملت على :

نتائج البحث .

توصيات البحث .

فهارس عامة ، واشتملت على :

فهرس الآيات القرآنيّة .

فهرس الأبيات الشعريّة .

فهرس الأعلام .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

تمهيد

فكرة الكتاب

تمهيد

فكرة الكتاب

اسم الكتاب : طيف الخيال .

مؤلّف الكتاب : الشريف المرتضى .

تحقيق ومراجعة الكتاب : دكتور محمود حسن أبو ناجي .

طبعة الكتاب : الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

أصل الكتاب : مخطوطة في مكتبة الأسكوريال تحت الرقم ٣٤٨ بعنوان : (كتب في الشعر) .

محتوى الكتاب : يبدأ الكتاب بمقدمة المحقق ، والتي يوضّح من خلالها أنّه بنفسه حقق هذه المخطوطة السَّنيّة المسماه (طيف الخيال) من مكتبة الأسكوريال تحت الرقم ٣٤٨ ، تحت عنوان (كتب في الشعر) وعدد أوراقها مائة وثلاث ورقات وهي مكتوبة بخط النسخ ، ولم يذكر الناسخ اسمه عليها ، وقد فرغ من كتابتها كما يقول الناسخ سنة إحدى وتسعين وخمسمائة هجريّة بمدينة حلب ، ويوضّح أيضاً أنّ هذه المخطوطة من تأليف عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب نقيب العلويين ، الملقّب بالشريف المرتضى ، والذي كان نقيباً للأشراف العلويين وهو إمام أئمّة العراق في علوم الدين المختلفة وفي علوم اللغة العربيّة وكان مثالاً للجود والكرم ، ومن الشغوفين بنشر العلم .

ثمّ تحدّث المحقق الدكتور محمود حسن أبو ناجي عن تحقيق طيف الخيال ونشره مبيّناً إنّ أوّل من قام بتحقيق هذه المخطوطة هو الأديب حسن كامل

الصيرفي ، نشر دار إحياء الكتب العربيّة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م ، وهو تحقيق جيّد ، آية في الإتقان والضبط وحسن التعليق ، ومراعاة قواعد التحقيق ، ولا يشين هذا التحقيق إلاّ الأبواب التي لا تفيد القارئ مثل : المقدّمة الطويلة عن بيت الطالبيين ، في بغداد وذكر عدد كبير من الكتب التي وردت فيها أبيات شعر في طيف الخيال وهي غير ذات جدوى لأنّها تجاوز عددها حجم المخطوطة الأصليّة وقد ختم المحقق المقدّمة بأهم الخطوات التي اتبعها في تحقيق هذه المخطوطة ، وهي :

١/ عزو الآيات إلى السور القرآنيّة .

٢/ تحقيق الأحاديث النبويّة الشريفة .

٣/ تراجم مختصرة للأعلام من شعراء وكتّاب وغيرهم .

٤/ تعيين بحور الشعر الواردة في المخوطة .

٥/ تعريف بالأماكن التي وردت في المخطوطة .

٦/ تفسير معاني الكلمات الغامضة التي وردت في الأبيات الشعريّة بالرجوع إلى معاجم اللغة العربيّة المشهورة .

٧/ ردّ أبيات الشعر التي وردت في المخطوطة إلى قائليها بالرجوع إلى الدواوين الشعريّة .

٨/ إكمال الكلمات التي كانت غير مفهومة ، أو غير موجودة في المخطوطة بما يناسب المفهوم العام .

ثمّ ترجم المحقق للمؤلّف مبيّناً اسمه ، ونشأته ، وشيوخه ، وديوان شعره وأهمّ أعيان كتبه ، وعلمه ، وثقافته ، وثراءه ، وشاعريّته ؛ والتي أثبت من

خلالها أنّ المرتضى كشاعر لم يصل إلى درجة أخيه الشريف الرضي [1] في الشعر ، والخيال السيّال ، والأسلوب الممتع ، وقد تفوّق الشريف المرتضى في الكتابة في علوم اللغة والدين .

ثمّ تناول في الكتاب أبيات من الشعر في طيف الخيال لشعراء مختلفين من عصور مختلفة لم يراعِ فيها ترتيب العصور ، ومعتمداً في ذلك على شعر الطائيين البحتري [2] وأبي تمام [3] ، وأتبع ذلك بالتحليل والنقد حتّى استوى موضوعه وبلغ أشدّه ، وسأعرض لهذا كله بالتحليل إن شاء الله فيما يأتي من أبواب .

الاختلاف في نسبة كتاب طيف الخيال :

---

[1] هو : محمّد بن حسين بن موسى بن محمّد بن موسى ، أبو الحسن الشريف الرضي ، أديب شاعر ، ولد ببغداد ٣٥٩هـ ، وتولّى نقابة الطالبيين بها ، وتوفّي بها سنة ٤٠٦هـ . معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربيّة ، تأليف عمر رضا كحالة ، ط١ ، بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، ٣/ ٢٦٣ .

[2] هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن سملال بن جابر ، البحتريّ الطائيّ ، الشاعر المشهور ، كان فاضلاً أديباً فصيحاً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، ولد ونشأ بمنبج ، من أعمال حلب سنة ٢٠٦هـ ، من تصانيفه (الحماسة) ، و(معاني الشعر) ، توفّي بمرض السكتة بمنبج سنة ٢٨٤هـ . معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي ، تحقيق إحسان عبّاس ، ط١ ، ١٩٩٣م دار الغرب الإسلامي ، ٦/ ٢٧٩٦ .

[3] هو : حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس ، الطائي ، ولد بقرية جاسم بالجولان ، سنة ١٩٠هـ ، وتوفّي سنة ٢٣١هـ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. يوسف علي طويل ، ود. مريم قاسم طويل ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، دار الكتب العلميّة ، منشورات محمّد علي بيضون ، بيروت ، لبنان ٢/ ٣ .

اختلف النقاد حول نسبة كتاب طيف الخيال ، فمنهم من يردّه للشريف الرضي ، ومنهم من يردّه للشريف المرتضى .

القائلون : أنّ طيف الخيال من تأليف الشريف الرضي :

١/ إسماعيل البغدادي في كتابه (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون). وكتابه (هديّة العارفين في أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين) .

٢/ جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربيّة) .

٣/ عمر رضا كحالة في كتابه (معجم المؤلفين) .

٤/ خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) . [1]

القائلون : أنّ طيف الخيال من تأليف الشريف المرتضى :

١/ السيوطي في كتابه (بغيةالوعاة) .

٢/ ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) .

٣/ ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) .

٤/ الشريف المرتضى في مقدمة كتابه (أمالي المرتضى) .

٥/ المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) [2] .

والثابت أنّ كتاب طيف الخيال من تأليف الشريف المرتضى ، وليس الشريف الرضي ، وإنّ الذين ردّوه للشريف الرضي قد أخطأوا كثيراً لأنّ أدلّة الشعر الذي فيه بالرجوع إلى الديوان يطابق حقيقة نسبته للشريف المرتضى .

---

[1] طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق د. محمود حسن أبو ناجي ، ط١ ، ١٩٨٤م ص ٨ .

[2] المصدر السابق ، ص ٨ .

والدليل على أنّ طيف الخيال للشريف المرتضى :

أولاً : ذكر المرتضى في معرض كلامه على طيف الخيال فقال : " قال أخي يرحمه الله " ومن المعلوم أنّ الرضي توفي سنة ست وأربعمائة هجريّة والمرتضى توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، أي بعد أخيه الرضي بثلاثين عاماً ممّا يدلّ على أنّ طيف الخيال للمرتضى .

ثانياً : كان ياقوت الحموي صاحب كتاب (معجم الأدباء) ، معاصراً لناسخ كتاب (طيف الخيال) وقد توفي الحموي سنة ، ست وعشرين وستمائة ، وهو من ناسبي (طيف الخيال) للمرتضى .

تعريف طيف الخيال :

لغة : طيف الخيال : الطيف هو المسّ من الشيطان قرئ (إذا مسّهم طيّفٌ من الشيطان) [1] ، وأصل الطيف هو الجنّ والجنون ، واستعمل أيضاً في الغضب . [2]

اصطلاحاً : الطيف هو ما يراه النائم في نومه .

والطيف قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم تارة أخرى ، ولمديحه وجوه متشعبة ، وممّا يمدح به إنّه يعلل المشتاق المغرم ويجعله يمسك رق المعنى ويكون الاستمتاع والانتفاع ، وإنّه زيارة من غير وعد ، ولذّة يتضاعف بها الالتذاذ ، والاستمتاع ، وإنّه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل

---

(1) الآية ٢٠١ من سورة الآعراف ، وهذه قراءة أبي عمرو في رواية الدوري .

(2) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور ، الإفريقي المصري ، مادة (طيف) .

من ضنين ، ومن مليح مدحه إنّه لقاء واجتماع لا يشعر الرغباء به ولا يخشى منعه ، ولا الاطلاع عليه ، والتهمة به زائلة [1].

وممّا يذمّ به الطيف ، إنّه زور وباطل وما أكبر الفرق بين لذة الخيال في حال تخيلها ، وبين لذة اللقاء الصحيح ، والوصال الصريح ، وبعد زواله ، ما أشدّ مضاضة منفعته ، وفقد متعته ، وأيضاً يزمّ الطيف بأنّه غرور محال ، ولا انتفاع بما لا أصل له ، وإنّما هو سراب لامع ، وكل تخيّل فاسد ، وإنّه سريع الزوال ، وشيك الإنتقال ، وإنّه يهيّج الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ويذكّر بغرام كان صاحبه عنه لاهياً ، وساهياً [2].

والشعراء قد تعجبوا كثيراً من زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار ووعورة الطرق وإشتباه السبل ولإهتدائه إلى المضاجع من غيرها وأنّى له بقطع بعيد المسافة ، بلا حافر ولا خفّ ، وجوب البلاد ، وطيّ البعيد من غير ركاب .

قال الشريف المرتضى في هذا المعنى [3]:

أيا زائراً بالليل من غير ان تسري

وهل زائر بالليل من غير أن يسري

---

[1] طيف الخيال ، ص ٢٦ .

[2] المصدر السابق ، ص ٢٨ .

[3] المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

الفصل الأوّل

الشريف المرتضى عصره وحياته وآثاره العلميّة

ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأوّل : عصرالشريف المرتضى .

المبحث الثاني : حياته .

المبحث الثالث : آثاره .

المبحث الأوّل

عصر الشريف المرتضى

(العصر العباسي الثاني ٢٣٢هـ – ٦٥٦هـ)

البيئة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة

١/ البيئة السياسية :

اتسمت البيئة السياسية بضعف الخلافة وضياع هيبة الخلفاء وفساد شئون الدولة وعجز السلطان المركزي عن جمع أطراف الدولة ، فاستقلّت الأطراف المشتتة ، وطمع في الملك كل من أحسّ في نفسه قوّة ، وظهر الإخشيديون في مصر وسوريا ، والفاطميون في إفريقيا ، والأمويّون في أسبانيا ، والقرامطة في البحرين ، والحمدانيون في الموصل وحلب ، وامتلأت البلاد بالفتن والدسائس وتفشّى الذعر في الناس ، وأصبحت الأموال في أيدي الطامعين ، وساءت الحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة ، وعمّ الظلم ، واندلعت الثورات ، وكثر الثائرون من العلويون والمتزرعون بالعلويين ، وازدادت غارات الأعراب والزنج والخوارج وقويت دعوة الشيعة في الشرق ، وعظمت آمالهم بتأسيس الدولة الشيعيّة الكبرى ، وعمّ أزى القرامطة ، وأزعوا شرّهم في جزيرة العرب والحجاز [1] .

في هذا الخضمّ المتباين عاش وعاصر الشريف المرتضى عدداً من الخلفاء مثل الخليفة الطائع لأمر الله ، والقائم بأمر الله ، وبهاء الدولة ، وابنه شرف الدولة وغيرهم [2] .

---

(1) العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، ط/ ١٩٧٥م ، دار المعارف ، مصر ، ص ٣٧ .

(2) ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق رشيد الصفّار المحامي ، مطبعة عيسى البابي ، ١/ ٩٤ .

البيئة الاجتماعيّة :

مجتمع العصر العباسي الثاني عبارة عن ثلاث طبقات أساسيّة هي :

طبقة عليا : تشمل الخلفاء والوزراء والولاة والأمراء وكبار رجال الدولة وأصحاب الإقطاع من الأعيان ، وذوي اليسار .

طبقة وسطى : تشمل رجال الجيش وموظفي الدواوين وغيرهم .

طبقة دنيا : تشمل العامة من الزرّاع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق [1].

الطبقة الأولى تغرق في النعيم والبذخ يتنافسون في بناء القصور وتحليتها بالذهب والفضّة .

والثانية تسكن في منازل معتدلة ، وأجورهم من الدولة ضئيلة .

أمّا الطبقة الثالثة ، فكان يقع عليها العبء في المزرعة وفي خدمة أرباب القصور والإقطاعات ، وأنّ كل ما تتقلب فيه الطبقتان الأولى والثانية من نعيم هو من أيدي هذه الطبقة العامة ، يسلبونه منها بطرق شتّى ، ويبقون لها البؤس والشقاء .

---

[1] العصر العباسي الثاني ، ص ٢٠ .

البيئة الثقافيّة :

اخذت الحضارة العباسيّة تؤتي ثمارها في كل فرع من فروع العلم والفلسفة والأدب والفن ، ونهضت الثقافة العربيّة وتمّ لها ازدهارها ، وارتقت العلوم الشرعيّة واللغويّة ، واتجه العرب إلى ترجمة الثقافة اليونانيّة وغيرها من ثقافات ، مما أدخل أرباب العلم وطلابه طوراً جديداً هو طور الاشتراك في المجهود العقلي الذي ترجم ، فكان منهم من اشتغل بالفلسفة وآخرون يعملون الفكر في مخلفات سابقيهم وترجماتهم [1].

وحرص كل أمير على استمالة العلماء والأدباء والشعراء لبلاطه وأجزل لهم الهبات على أن يتغنّوا بمناقبه ، ويدونوا أخباره ، ويرتفع شأنه فتعددت عواصم العلم والأدب ، فكانت حلب من أشهر مدن العلم ، ولا سيما في ظل الحمدانيين ، وفي عهد الأمير سيف الدولة الذي جمع حوله أكثر العلماء والأدباء مثل المتنبئ والفيلسوف الفارابي والكاتب ابن نباته ؛ نجد أنّ سوق العلم قد راج وأيضاً انتشرت الروح الفلسفية وبات في الشعر ميل إلى الفلسفة وظهرت آراء صوفيّة وفلسفيّة ، وأدّى هذا التنوّع في الحياة الثقافيّة لظهور جماعة من كبار العلماء والأدباء والشعراء كان لهم لون واضح في تاريخ الثقافةالعربيّة والإسلاميّة على مدى العصور [2] .

---

[1] العصر العباسي الثاني ، ص ١١٨ .

[2] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

المبحث الثاني

حياة الشريف المرتضى

١/ **اسمه :** هو عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب [1] .

٢/ **لقبه :** لقّب بالسيّد ، والشريف ، والمرتضى ، وذي المجدين ، وعلم الهدى .

٣/ **كنيته :** أبو القاسم [2].

٤/ **مولده :** ولد في دار أبيه (محلّة باب المحوّل) في الجانب الغربيّ من بغداد (الكرخ) الواقعة بين نهر الصراة غرباً ونهر كرخاية شرقاً ، وذلك في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، في خلافة المطيع لله العبّاسي [3] وعلى هذا اتفقت كل كتب السير والأخبار التي أوردت نتفاً من سيرته [4].

٥/ **نسبه وأسرته :** ينتمي الشريف المرتضى إلى أسرة شريفة حيث يلتقي نسبه بسيدنا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه . ولذلك حظيت الأسرة بمكانة سامية في نفوس العامة والخاصة من الملوك والأشراف والعلماء ، فأبوه ، أبو أحمد الحسين الملقّب بالطاهر الأوحد ذي المناقب ، لقّبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهي ،

---

[1] تاريخ بغداد ، تأليف أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان ١١/ ٤٠٢ . وينظر : معجم الأدباء ، ٤/ ١٧٢٨ .

[2] معجم الأدباء ، والصفحة نفسها .

[3] ديوان الشريف المرتضى ، ص ٤٢ (المقدمة) .

[4] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ٣/ ٢٥٦ .

لجمعه مناقب شتّى ، ومزايا رفيعة [5] ولمكانته هذه أعطى عقد نكاح بنت بهاء الدولة بصداق قدره مائة ألف دينار [1] وقد كان سيّداً عظيماً مطاعاً ومنزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل [2] لذا ولاه بهاء الدولة عقد نكاح ابنته وأيضاً تقلّد عدّة مناصب ، ففي سنة ثمانين وثلاثمائة ولّي نقابة العلويين والمظالم وإمارة الحج [3] إلاّ إنّه في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولّي نقابة الطالبيين أبو الحسن النهر سابسي وعزل عنها أبو أحمد الموسوي [4] ثمّ عاد بهاء الدولة في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وقلّده نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم [5] وتوفي أبو أحمد الحسين سنة أربع مائة ، ووقّف بعض أملاكه على البرّ ، وصلّى عليه ابنه الأكبر الشريف المرتضى ، ودفن بداره ثمّ نقل إلى مشهد الحسين عليه السلام ، وكان مولده سنة أربع وثلاثمائة [6] أماّ والدة الشريف المرتضى فهي فاطمة بنت أبي محمّد الحسن الملقّب بالناصر الصغير ابن أحمد أبي محمّد الحسن الملقّب بالناصر الكبير، صاحب الديلم ابن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وقد توفّيت والدته في ذي الحجّة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة [7].

---

[5] الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار صادر بيروت ، ٩/ ١٠١ .

[1] الكامل في التاريخ ، ٩/ ٧٧ .

[2] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين بن تغري بردي ، ط/ مصورة عن دار الكتب ، المؤسسة المصريّة ، ٤/ ٢٢٣ .

[3] المرجع السابق ، ٩/ ٧٧ .

[4] المرجع السابق ، ٩/ ١٠٥ .

[5] الكامل ، لابن الأثر ، ٩/ ٢١٩ .

[6] ديوان الشريف المرتضى ، ٢/ ٤٦ ، (المقدّمة) .

[7] المرجع السابق ، ١/ ٤٧ .

لم أجد في المصادر التي اطلعت عليها ذكراً لأشقائه إلاّ ما ذكر عن شقيقه الشاعر الشريف الرضي ، وأختين رثاهما الشريف الرضي في ديوانه[1] والشريف الرضي شاعر مشهور ، وصاحب ديوان معروف باسمه ، وقد كان ميلاده بعد الشريف المرتضى بأربع سنوات ، أي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، وقد لقّب بالرضي ، وذي الحسبين ، فعل ذلك أيضاً الملك بهاء الدولة [2] وكان ذلك في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، ثمّ قلّد نقابة العلويين ببغداد ، وخلع عليه السواد ، وهو أول طالبي خلع عليه السواد [3] وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي الشريف الرضي سنة ست وأربعمائة ، وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها أخوه الشريف المرتضى ؛ لأنّه لم يستطع النظر إلى جنازته ، وقد عرف عن الشريف الرضي تطلّعه إلى السلطة والرياسة بخلاف أخيه الشريف المرتضى الذي نذر حياته إلى العلم والمعرفة [4].

صفات الشريف المرتضى :

كان الشريف المرتضى ربع القامة ، نحيف الجسم ، أبيض اللون ، حسن الصورة [5] أمّا أخلاقه ، فقد اشتهر بكرمه وبذله ، ومساعدته للمحتاجين ، وممّا

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ٢/ ٣٠٩ . و٣/ ١٨٦ .
[2] الكامل ، لابن الأثير ، ٩/ ٢٤٢ .
[3] المرجع السابق ، ٩/ ٢٦١ .
[4] طيف الخيال ، ص ١٧ .
[5] ديوان الشريف المرتضى ، ١/ ٤٨ .

يروى عنه ، إنّه كان كريماً حتّى مع اليهودي ، وقد كان صديقاً ، لأبي إسحاق الصابي ، ومما يروى عنه أيضاً ما حكاه التبريزي [1] من أنّ أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سلك القالي الأديب ، كانت له نسخة عزيزة لكتاب الجمهرة لابن دريد [2] في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها واشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً وتصفحها ، فوجد بها أبياتاً بخطّ بائعها ، أي القالي يقول فيها :

أنست بها عشرين حولاً فبعتها

لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظنّي إنني سأبيعها

ولو خلّدتني في السجون ديوني

فقلت ولم أملك سوابق عبرة

مقالة مكوي الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك

كرائم من ربّ بهنّ ضنين [3]

وعندما قرأ الشريف المرتضى هذه الأبيات ردّ النسخة إلى بائعها ، وترك له دنانيره [4]، وهذا يدلّ على طبع وكرم الشريف المرتضى ، وأيضاً ما كان يجريه

---

[1] هو : يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن بسطام ، الشيباني ، أبو زكريا الخطيب التبريزي ، أحد الأئمّة في النحو ، واللغة والأدب ، ولد سنة ٤٥١هـ ، وتوفي سنة ٥٠٢هـ . معجم الأدباء ، ٦/ ٢٨٢٣ .

[2] هو : محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، الأسدي البصري ، أبو بكر ، أديب شاعر لغويّ نحوي ولد في خلافة المعتصم بالبصرة ، وقرأ على علمائها ، ثم صار إلى عمان ، ثمّ قدم بغداد فأقام بها إلى أن توفي ، سنة ٣٢١هـ . معجم المؤلفين ، ٣/ ٢١٧ – ٢١٨ .

[3] طيف الخيال ، ص ١٨ .

على تلاميذه من جرايات شهريّة وغيرها ، فقد كان الشريف المرتضي في رغد من العيش أتاحته له أملاكه الواسعة حيث كان يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار [1].

أساتذة الشريف المرتضى :

كان أوّل عهد الشريف المرتضى بالدرس والتحصيل عندما ذهبت به أمّه مع أخيه الشريف الرضي ، وهما طفلان وحولهما جواريهما إلى الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان ، المعروف بالشيخ المفيد ، وهو بالمسجد يتلقيان عليه الفقه وألأصول فقد كان فقيه الشيعة الذي انتهت إليه رياسة الإماميّة [2]، كما درس اللغة والمبادئ مع أخيه الشريف الرضي علي يد الأديب الشاعر ابن نباتة السعدي [3] ، وتتلمذ في الشعر والأدب علي يدي أبي عبيد الله المرزباني [4] وأكثر رواياته في كتابه الأمالي عنه [5]، كما أخذ علوم الحديث والفقه علي غير أولئك الأساتذة والشيوخ ،

---

(4) وفيات الأعيان ، ٣/ ٣٧٦ .

(1) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المأمون ، ١٣/ ١٥٤ .

(2) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(3) هو : محمد بن محمد بن محمد الحسن الخزامي الفارقي الأصل ، المصري ، أبو الفضائل أبو الفتح ، أبو بكر بن نباته ، أديب ناثر شاعر مؤرّخ ، أصله من فارقين ، ولد بالقاهرة ، ونشأ بها ، وسكن الشام ، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها ، وتوفي بالقاهرة . معجم المؤلفين ، ٣/ ٦٧٦ .

(4) هو : محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله المرزباني ، الراوية الإخباري الكاتب ، ولد سنة ٢٩٩هـ ، وتوفي سنة ٣٧٨هـ ، معجم الأدباء ، ٦/ ٢٥٨٢ .

(5) ديوان الشريف المرتضى ، ١/ ٦٣ .

منهم المحدّث الجليل الحسين بن علي بن بابويه القمّي وأبو الحسن الجندي ، وأحمد بن محمّد بن عمران الكاتب ، وسهل بن أحمد الديباجي ، وغيرهم [1].

تلاميذ الشريف المرتضى :

كان الشريف المرتضى خليفة أستاذه العلاّمة الشيخ المفيد في علم الكلام وفنّ المناظرة ، وكان مجلسه يحضره أقطاب العلماء من كافة المذاهب وسائر الملل [2] ، ولمّا كان الشريف المرتضى قد ضرب بسهم وافر في العلوم والآداب وسائر المعارف الإسلاميّة لم يكن غريباً أن يصبح تلامذته ومريدوه والمختلفون إلى مجلسه والمستمعون إليه كثيرين وأغلبهم علماء أفاضل خلّفوا كتباً جليلة ورسائل نافعة منهم شيخ الطائفة الطوسي ، وهو أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي الفقيه الأصولي والمحدث الشهير [3] ، صاحب كتابي الاستبصار والتهذيب ، وهما من الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإماميّة ، وله أيضاً كتاب الخلاف في الفقه ، وكتاب في تفسير القرآن يسمى التبيان ، وكتاب العدّة والأمالي ، والغيبة ، ومصباح المتهجّد في الأدعية والأذكار ، وله أيضاً تلخيص كتاب الشافي في الإمامة ، لأستاذه الشريف المرتضى ، وجميعها كتب مطبوعة هي نتاج ثمان وعشرين سنة تتلمذ فيها علي يد الشريف المرتضى [4].

ومن تلامذته أيضاً أبو يعلى الديلمي (سالار) ، الشيخ الفقيه المتكلّم وسالار هو لقبه ، واسمه محمّد بن حمزة ، كان ينوب في التدريس عن أستاذه

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ١/ ٦٤ .

[2] المرجع السابق ، ١/ ٦٢ .

[3] المرجع السابق ، ١/ ١٠٤ .

[4] المرجع السابق ، ١/ ١٠٥ .

الشريف المرتضى ، له عدّة كتب منها : المقنع في المذهب والتقريب في أصول الفقه ، والمراسم في الفقه .

ومنهم أيضاً الشيخ تقي الدين بن نجم الحلبيّ ، له كتاب تقريب المعارف والبداية وشرح الذخيرة ، والكافي في الفقه والبرهان على ثبوت الإيمان وأيضاً الشيخ الإمام أبو الفتح الكراجكي ، صاحب كتاب كنز الفوائد ، وأيضاً عماد الدين ذو الفقّار الضرير ، وهو فقيه ورع ، وأبو عبد الله جعفر ابن محمّد بن أحمد ، بن العباس الرازي الدوريستي ، صاحب كتاب الكفاية وغيره من كتب ، وأيضاً منهم الصهرشتي صاحب قبس المصباح ، وكتاب النفيس والنوادر وكتاب المتعة [1].

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ١/ ١٠٨ .

المبحث الثالث

آثار الشريف المرتضى

كان للشريف المرتضى إمام أئمّة العراق بين الإختلاف والاتفاق إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجمّاع شاردها وآنسها ممّن سارت أخباره وعرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره   كان له ما يقرب من سبعين مصنّفاً ، منها :

كتاب الأمالي ، وأصل اسمه (غررالفوائد ودررالقلائد) ، وهو يدلّ على توسع في الاطلاع [1]على العلوم ، وهو مطبوع ، وكتاب الشهاب في الشيب والشباب وهو أيضاً مطبوع ، وكتاب طيف الخيال ، الذي جمع فيه ما قاله الشعراء في هذا الضرب ، وهو مطبوع ، وله أيضاً من الكتب مقدمة في الأصول الاعتقاديّة والرسائل وإنقاذ البشر من الجبر والقدر ، وتفسير القصيدة المذهبية ، والمسائل الناصرية في الفقه ، والانتصار ، وتنزيه الأنبياء ، والشافي في الإمامة ، وكلّها مطبوعة [2].

وأمّا مكتبته فقد أجمع المؤرخون على كثرة الكتب التي ضمّتها إذ تجاوزت الثلاثين ألف كتاب ، فقد كان الشريف المرتضى شغوفاً بجمع الكتب مغرماً بإهداء بعض ما يشتري ، وهو أوّل من جعل مكتبته داراً للعلم ، يؤمّها طالبي المعرفة من شتّى الملل والنحل [3] .

---

[1] طيف الخيال ، ١/ ١٤ .

[2] ديوان الشريف المرتضى ، ١/ ١١٧ .

[3] المرجع السابق ، ١/ ١١٩ .

وديوان الشريف المرتضى يعدّ من الدواوين الضخمة من حيث عدد الأبيات الشعريّة ، وهو شبيه بديواني الشاعرين البحتري ، وأبي تمام ، وقد حقق ديوانه رشيد الصفّار المحامي ، ونشره في مصر سنة ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف ، والذي أثبت فيه أنّ المعاني الغامضة قليلة جداً ، ولا تقارن بغيره من دواوين الشعراء .

ومهما يكن من أمر فإنّ آثار العالم العلاّمة الشريف المرتضى ، لا غنى عنها لكل باحث ، وطالب علم ، فهي آثار باقية لما فيها من علم لا يحصى نفعنا ومن بعدنا الله به .

وفاة الشريف المرتضى :

توفي الشريف المرتضى رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة ببغداد ، وصلّى عليه ابنه ، في داره ، وبعدها نقل إلى كربلاء ، ودفن بجوار أجداده عند قبر أبيه وأخيه الشريف الرضي ، وجدّه إبراهيم ، ونقل عنه إنّه قال عند وفاته :

لئن كان حظّي عاقني عن سعادتي

فإنّ رجائي واثق بحليمِ

وإنْ كنت في زاد التقيّة والتقى

فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم [1]

وأمّا أي دار من دوره توفي فيها الشريف المرتضى ودفن فيها قبل نقله إلى كربلاء فهذا لا يمكننا تحديده ؛ لأن دور الشريف المرتضى أربعة :

---

[1] قطوف أدبيّة ، عبد السلام هارون ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، مكتبة السنّة ، ص ٣٠٠ ولم أعثر على هذين البيتين في ديوان الشريف المرتضى .

أولها : دار أبيه وهي التي في باب المحوّل ، في الجانب الغربي من بغداد وهي التي ولد فيها الشريف المرتضى .

ثانيها : الدار التي تقع على الصراة التي أحرقت على آثار الفتن التي حدثت سنة ستة عشر وأربعمائة .

ثالثها : داره بدرب جميل ، التي سكنها الشريف المرتضي بعد أن أحرقت داره في الصراة .

رابعها : الدار التي بناها على شاطئ نهر دجلة .

ونلاحظ إنّ كل من تناول سيرة الشريف المرتضى ووفاته لم يحدد بالدّقة الدار التي دفن فيها أولاً من هذه الدور الأربعة سالفة الذكر [1]، ولقد خلّف الشريف المرتضى ولداً كنّاه أبا محمّد ، وكان الشريف المرتضى حريصاًَ على تربيته تربية عالية ، ولكّنه لم يكن على شيئ من العلم لأنّه لم يذكر في تراجم أعلام الإماميّة ، وقد تزوّج أبو محمّد هذا في حياة الشريف المرتضى .

---

[1] أدب الشريف المرتضى ، للدكتور عبد الرازق محيي الدين ، ط/ ١٩٥٧م ، دار المعارف بغداد ، ص ٧٨ .

الفصل الثاني

تناول الشريف المرتضى للنصوص في كتابه

ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول : النصوص من العصر الجاهلي .

المبحث الثاني : النصوص من صدر الإسلام .

المبحث الثالث : النصوص من العصر الأموي .

المبحث الرابع : نماذج من النصوص في العصر العبّاسي .

تمهيد

النصوص في الكتاب تدور حول الطيف في الشعر العربي لإدراك الشريف المرتضى بأنّ طيف الخيال باب قائم بذاته أطال الشعراء فيه وقصروا وأصابوا وأخطأوا ، وتصرفوا وتفننوا فيه منذ العصر الجاهلي حتّى عصر الشاعر الشريف المرتضى أي العصر العباسي ، وقد اعتمد الشريف المرتضى على ديواني الطائيين ، وهما البحتري [1] ، وأبو تمام [2] ، وشعر أخيه الشريف الرضي [3] ، كاشفا عن دفائن وسرائر الطيف ، وكان الاهتمام منصبّاً على البحتري لأنّه كان مغرماً متيّماً بالقول في الطيف ، فأكثر فيه وأغزر ، مع تجويد وإحسان ، وتصرّف فيه تصرف المالكين وتمكّن القادرين .

فقد أسدى الشريف المرتضى وهو من أصحاب الذوق الرفيع في حسن الاختيار وبراعة التدليل ، وعمق التجربة ، وسلاسة الأسلوب ، بما أورده من الشعر العربي على مرّ العصور ، ما يفيد الثقافة العربيّة ويغنيها بالجميل من النصوص حول الطيف ، فازدانت المكتبة العربيّة بروائع ما جادت به قرائح شعراء طيف الخيال ممن صفت أذواقهم ، وكانوا بحق روّاداً للشعر العربي الذي هو مرآة لتجربة شعوريّة صادقة .

---

(1) عرّف به ص ٣ .

(2) عرّف به ص ٣ .

(3) عرّف به ص ٣.

وكتاب طيف الخيال للشريف المرتضى يشمل الكثير من الأبيات التي تناولت الطيف عبر العصور ،أي حتّى عصر الكاتب ، الأمر الذي دعاني لتصنيفها حسب العصور .

المبحث الأوّل

النصوص من العصر الجاهلي

قال عمرو بن قميئة [1]، وهو أوّل من نطق بوصف الخيال :

نأتك أمامة إلاّ سؤالا

وإلاّ خيالاً يوافي خيالا

توافي مع الليل مستوطناً

وتأبى مع الصبح إلاّ ذيالا

خيالاً يخيّل لي نيلها

ولو قدرت لم يخيل نوالا [2]

وهذا من أفضل ما قيل في بخل المعشوق إذ يحدد الشاعر فيه أنّ أمامة بعدت ولم يبق منها إلاّ السؤال والخيال الذي لم يكن معه طول الوقت ،وإنّما يلم به ليلاً ثمّ ينصرف .

---

[1] هو : عمر بن قميئة من قيس بن ثعلبة ، من بني سعد بن مالك ، رهط طرفة ابن العبد ، وهو جاهليّ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ١/ ٣٧٦ .

[2] ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق وشرح ، حسن كامل الصيرفي ، ط/ معهد المخطوطات العربيّة ، ص ١٠٦ .

قال امرؤ القيس [1] :

تأوبني دائي القديم فغلسا

أحاذر أن يرتدّ دائي فانكسا [2]

والشاعر هنا يتحدّث عن داء يشدّه إلى السهر فلا ينام شيئاً ولكن يراوده النوم فينعس ، ومع الظلام يتذكّر داءه القديم ، ويخشى أن يصاب بنكسة يعاوده فيها المرض .

قال قيس بن الخطيم [3]:

إنّي سريت وكنت غير سروب

وتقرّب الأحلام غير قريب

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينّه

في النوم غير مصرّد محسوب

كان المنى بلقائها فلقيتها

فلهوت من لهو امرئ مكذوب [4]

---

[1] هو : امرؤ القيس بن حَجر بن الحارث بن عمر بن حَجر ، الشاعر الجاهلي المشهور ، والذي يعدّ من شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ، صنعة أبو عبد الله بن سلام الجمحي ، طبعة على نسخة خطيّة قديمة قوبلت على نسخة طبع أوربا ، ص ٢٥ .

[2] ديوان امرؤ القيس ، ط/ دار المعارف ، مصر ، ص ١٠٥ .

[3] هو : قيس ثابت بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر ، يكنى بأبي زيد ، شاعر مجبد فحل من الناس من يفضله على حسّان بن ثابت شعراً . معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص ١٩٦ .

[4] شعر قيس بن الخطيم ، لابن السكيت ، ص ١٥ . وفي زهر الآداب ورد البيت الأول برواية : (إنّي شربت وكنت غير شروب) ، وهو تصحيف .

الأبيات تحمل معنى غريباً في عبارة (وكنت غير سروب) ، ولم يقل (وكنت غير سارب) ، لأنّ السارب ، هو السائر نهاراً والساري هو السائر ليلاً ومن لم يسر نهاراً مع وضوح المسالك والاهتداء إلى المقاصد ، والأنس بضاء النهار كيف يسري في الظلام .

والجمال يظهر في عبارة (وتقرب الأحلام غير قريب) لأنّها إشارة إلى غرور الطيف وكذب تخيّله ، والمصرّد هو القليل وهو يحمل وجهين **أحدهما** : التقليل لأنّ الشيئ القليل يوصف بمحسوب ، وهو تأويل ، قال تعالى : (يرزقون فيها بغير حساب) [1] وكان الشاعر أكّد قوله : غير مصرّد بأنّه أيضاً غير محسوب لنفي التقليل .

والوجه الثاني : أنْ يكون من معنى محسوب أي متوقّع ومنتظر ، كما يقال : لم يكن كذا وكذا في حسابي أي ما توقعته ولا انتظرته ، وقوله فلقيتها بمعنى لقيت خيالها ،لأنّه لولقيها حقيقة لما كان مكذوباً ، وقوله : فلهوت من لهو امرئ مكذوب هو من فصيح العبارة وأحسنها لأنه نال منها ما أراد في النوم خيالاً وليس يقظة [2] .

---

[1] الآية ٤٠ من سورة غافر .

[2] طيف الخيال ، ص ٥١ .

قال عبيد بن الأبرص [3] :

طاف الخيال بنا في ليلة الوادي

من أم عمرو ولم يلمم بميعاد

أنّى اهتديت لركب طال حبسهم

في سبسب بين دكداك وأعقاد

السبسب : هو ما استوى من الأرض ، والدكداك هي السهولة ، والأعقاد جمع عقد ، وهي رمال مترامية .

والشاعر يرى هدايته للمسافرين رغم وعورة المسالك ، وعدم إلمام الخيال .

قال طرفة بن العبد [1]:

فقل لخيال الحنظليّة ينقلب

إليها فإنّي واصل حبل من وصل [2]

قول طرفة : فقل لخيال الحنظليّة ، وهي امرأة من بني حنظلة بن مالك قد هجرته وواصله خيالها فطرد خيالها .

---

[3] هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك ، بن زهير بن مالك ، بن الحارث بن سعد بن ثعلبة . الشعر والشعراء ، ١/ ٢٦٧ .

[1] هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ، ويًقال اسمه عمرو ، وسمّي طرفة لبيت قاله كان أحدث الشعراء سنّاً ، قتل وهو ابن عشرين سنة . الشعر والشعراء ، ١/ ١٨٥ .

[2] ديوان طرفة بن العبد ، شرح يوسف الأعلم ، الشنتمري ، ط/ شالوت ، ص ٨٨ .

المبحث الثاني
النصوص من صدر الإسلام

لم يرد في كتاب طيف الخيال من نصوص شعراء عصر صدر الإسلام سوى نصّين هما :

قول النمر بن تولب [1] :

تأوّب صحبتي وهم هجود
خيال طارق من أم حصن
ألم ترها إليك اليوم جاءت
بملء العين من كرم وحسن [2]

يريد الشاعر أنّ خيال أم حصن عاوده ليلاً وطرق باب خياله وأصحابه نيام وظنّ أنّ هذا الطيف لم يكن طيفاً عاديّاً وإنّما أشبه بالحقيقة ، وهي بهذا الطيف قد تكرّمت وجادت له .

وقول القس [3] :

---

[1] هو : النمر بن تولب ، من عَكل ، شاعر جواد ، ويسمّى الكيّس لحسن شعره ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ١٩/ ١٥٧ .

[2] الشعر والشعراء ، ١/ ٣٠٩ .

[3] هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار الجشمي ، وهو من قُراء أهل مكّة ، ويلقّب بالقس لعبادته . المرجع السابق ، ٨/ ٣٦٦ .

إنّ التي طرقتك بين ركائب

تمشي بمزهرها وأنت حرام

باتت تعللنا وتحسب إنّنا

في ذاك أيقاظ ونحن نيـام

حتى إذا انصدع الصباح لناظر

فإذا وذلك بيننـا أحـلام [1]

يقول الشاعر : إنّ المحبوبة قد طرقت خياله ، وهي تمشي بحسنها بين أهلها وقد حرّم عليه السير معها ، واكتفى بطيفها الذي بات يصبّره ، ويحسب أنّهم أيقاظ بينما هم نيام ، وظنّ الشاعر إنّ ذلك الطيف حقيقة ، ولكن خاب الظنّ عندما انفلق الصباح ، ووجد إنّ كل ذلك أضغاث أحلام .

---

[1] الأغاني ، ٨/ ٣٣٦ . ويقع بين البيت الأوّل والثاني ، بيت هو :

لتصيد قلبك أو جزاء مودّة   إنّ الرفيق له عليك زمام

المبحث الثالث

النصوص من العصر الأموي

من النصوص الشعريّة الواردة في العصر الأموي :

قول ذو الرمّة [1] :

إذا نحن عرّسنا بأرض سرى بها

هوى لبّسته بالقلوب اللوابس

نـأت دار ميّ أنْ تزار وزورها

إذا ما دجا الإظـلام منّا وساوس[2]

التعريس : هو النزول آخر الليل ، ولبّسته : بمعنى خلطته ونأت : بمعنى بعدت .

يقول الشاعر : سرى بها هوى إلى فتية ، ويروى بالقلوب وبالفؤاد وبالنفوس ، وباتت ديار مي بعيدة لا يأتي منها سوى طيفها ليلاً .

وقول جرير [3]:

---

[1] هو : غيلان بن عقبة بن بهيش ، ويكنى أبا الحارث ، وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة . الشعر والشعراء ، ١/ ٥٢٤ .

[2] ديوان ذو الرّمة ، تنقيح كارليل هنري هيس مكارتني ، ص ٣١٦ – ٣١٧ . وورد البيت الثاني قبل البيت الأول .

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجعي بسلام

لو كان عهدك كالذي عاهدتنا

لوصلت ذاك فكان غير رمام [1]

يريد الشاعر أنّها طرقته بنفسها زائرة على الحقيقة لا طيفها فقال لها عاتباً أوخوفاً من وضع الزيارة في غير موضعها : ارجعي بسلام ليس هذا وقت الزيارة ، ومن خاف الرقباء ولم يأمن على محبوبه من الأقوال الجارحة والتهم الفادحة استعفي مما يطرق ذلك وليس في لفظ البيت ما يدل على اختصاص بالخيال لأنّ الطروق هو الزيارة ليلاً ، ويكون لغير الخيال أيضاً ، وهو هنا لغير الخيال حقيقة وفي الخيال مجازاً ، وأي معنى لقوله : (ليس ذا وقت زيارة) إن كان قد عني الطيف !

وقول قيس بن الملوّح [2]:

وإنّي لأستغشى زماني نعسه

لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا [3]

---

[3] هو أبو حرزة جرير بن عطيّة الخطفي ، التميمي ، الشاعر المشهور ، كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الشاعر الفرزدق مهاجاة ونقائض ، توفي سنة ١١١ هـ . وفيات الأعيان ، ١/ ٣٠١ .

[1] ديوان جرير ، شرح يوسف عيد ، ط/ دار صادر ، بيروت ، ص ٤٥٢ .

[2] هو : قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، المتوفي سنة ٦٨هـ ، شاعر غزل ، من المتيمين من أهل نجد ، لقّب بمجنون ليلى ، ولم يكن مجنوناً ، ولكن لهيامه بصاحبتة ليلى بنت سعد . الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، ط١٠ ، ١٩٩٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ٥/ ٢٠٨ .

[3] ديوان العذريين ، سرح يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ص ٣٥٢ . وفي الديوان : وما بي (نعسةٌ) .

أراد الشاعر متمنّياً خيالها الذي هو طيف أن يلقاه ، ووصف نفسه بأنّه خيال لنحوله وخفاء شخصه .

وقول الكميت [1] :

فلمّا انتبهت وجدت الخيال

أمـاني نفسي وأفكـارها

وقد شرح الآمدي [2] البيت السابق بقوله : أي وجدت الخيال أنا الجالب له بأماني نفسي .

وقول الفرزدق [3] :

لعمري لقد نبّهت يا هند ميّتاً

قتيل كرىً من حيث أمسيت نائيا

فطافت باطلاح وطلحي كأنّما

سقوا بحمام الموت للموت ساقيا

---

[1] هو : أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي ، كان يعلّم الصبيان بالكوفة ، وكان متشيّعاً ، ولقي من ذلك بلاءاً كثيراً ، ولد سنة ٦٠هـ ، وتوفي سنة ١٢٦هـ . الشعر والشعراء ، ٢/ ٥٨١ .

[2] هو : الحسن بن بشر بن يحيى الامدي ، أبو القاسم المتوفى سنة ٣٧٠هـ ، عالم بالأدب راوية من الكتّاب ، له شعر ، أصله من آمد ، ومولده ووفاته بالبصرة ، من مؤلّفاته (المؤتلف والمختلف بين الشعراء) و(الموازنة بين البحتري وأبي تمام) و(معاني شعر البحتري) . الأعلام ٢/ ١٨٥ .

[3] هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، الشهير بالفرزدق ، شاعر من فحول الشعراء ، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، توفي سنة ١١٠هـ . معجم الأدباء ٦/ ٢٧٥ .

فباتت بنا ضيفاً دخيلاً ولا أرى

سوى حلم جاءت به الريح ساريا

وكنت إذا ما الريح جاءت بنشرها

اليّ سقتني ثمّ عادت بدائيا [1]

الشاعر يقسم أنّ هنداً قد أيقظه طيفها من حيث أنّه أضحى بعيداً عنه غارقاً في النوم وقد حلّ طيفها بعد عناء ومشقّة ، وذاق ما ذاق من الصعاب ، ثمّ حلّ به ضيفاً جاءت به الريح سارياً ، وانتقل الشاعر من الحلم وتذكّر أنّ طيبها يأتيه مع الريح ويطيب نفسه ثمّ يعود من حيث أتى .

وقول الفرزدق :

إذا ما نأت عني حننت وإن دنت

فابعد من بيض الأنوق كلامها

وتمنع عيني وهي يقظى حلالها

وتبذل لي عند المنام حرامها [2]

أراد الفرزدق إنّها تمنع عينه وهي يقظى ما هو حلال من النظر إليها والتسليم عليها ، وتبذل له عند منامه ما هو حرام من التمتّع التام بها ، فقد قرن التحليل باليقظة والتحريم بالنوم .

---

[1] ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ٢/ ٣٥١ .

[2] المرجع السابق ، ٢/ ٢٢٩ . ورواية الديوان : (إذا هي نأت عنّي حننت) بدلاً من (إذا ما نأت عني حبيب) ، وفي البيت الثاني : (شفاءها) بدلاً من (حلالها) .

المبحث الرابع
نماذج من النصوص في العصر العباسي

أكثر الشريف المرتضى بالاستشهاد من نصوص هذا العصر دون سواه خاصة أبي عبادة البحتري لأنّه كان مغرماً متيّماً بالقول فيه ، تغلغل في أوصافه واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره ، وكان شغوفاً بتكرار القول فيه بابدائه وإعادته وأصبح لاستشهاده فيه مثلاً يقال له (خيال البحتري) ، ولأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ، ومحاسن لا يبلغ شاؤها ، ثم دلف الشريف المرتضى إلى قول أخيه الشريف الرضي ، وقوله هو .

وثمة أمر يلاحظ في كتاب طيف الخيال ، هو إنّ الشريف المرتضى أغفل المتنبئ ولم يختر له من شعره في الطيف شيئاً ، مع أنّ المتنبئ قريب عهد بالشريف المرتضى ، فقد توفي المتنبئ سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة أي قبل الشريف المرتضى بعام واحد ، ولقد ذكر ياقوت الحموي أنّ الشريف المرتضى كان يبغض المتنبئ ، ويتعصّب عليه [1] لأسباب منها :

---

[1] معجم الأدباء ، ١/ ٣٠٢ .

أولاً : هجاء المتنبئ [2] لبعض العلويين مثل قوله :

إذا علويّ لم يكن مثل طاهر

فما هو إلاّ حجّة للنواصب

ثانياً : ما وصم به المتنبئ من دعوى النبوّة ، ولكن رغم ذلك ، لم نجد الشريف المرتضى يطلق لسانه في المتنبئ كما أطلق بعض معاصريه السنتهم فيه .

وقول أبو تمام :

زار الخيال لها لا بل أزاركه

فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم

ظبئ تقنّصته لمّا نصبت له

من آخر الليل أشراكاً من الحلم

ثمّ اغتدى وبنا من ذكره سقم

باق وإن كان مغسولاً من السقم [1]

قال الآمدي عن هذه الأبيات : إنّ قوله زار الخيال لها لا بل أزاركه ليس بالجيّد لأنّه إذا أزاره الفكر فقد زار فما وجه الاستدراك ، فكأنّه أراد أنّ الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنّما أزاره الفكر ، ومثله : قام زيد لا بل اقمته وكأنّ قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام ، بل أقمته أنا ، هذا وقد عاد الآمدي واعتذر عن ما وجهه لهذا البيت وكأنّه قد جمع بين الشيئ وضدّه .

---

[2] هو : أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، الجحفي ، الكندي ، الكوفي المعروف بالمتنبئ ، الشاعر المشهور ، ولد بمحلة تسمى كندة ، بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق علي شعيب الأرناؤوط ، وآخرون ١٦/ ١٩٩ – ٢٠١ .

[1] ديوان أبو تمام ، تحقيق إيليا الحاوي ، ص ٥٠٧ .

ويقول الشريف المرتضى زار الخيال إضافة الزيارة إلى الخيال والظاهر من قول القائل : قام زيد إضافة القيام إليه على سبيل الاختيار ، فيجوز أن يستدرك ، ويقول عقب قوله : زار الخيال بل أزاركه كذا وكذا ، وأمّا قوله : إذا نام فكر الخلق لم ينم فإنّه لم يرد حقيقة النوم وإنّما أراد الفتر ، وهو الضجر والسأم ، وقوله من آخر الليل ولم يقل من أوله يريد أنّه لا ينام بالليل إنّما يسهر ويهوّم في آخره تهويماً فيطرق الخيال في ذاك الوقت ، وقوله : إن كان مغسولاً من الأسقام ، أي كأنّه ممزوجاً بالعسل .

وقول أبي تمّام :

عادك الزور ليلة الرمل من

رملة بين الحمى وبين المطالي

نم فما زارك الخيال ولـ

كنك بالفكر زرت طيف الخيال [1]

قال الامدي : قد أكثر أصحاب أبي تمّام الفخر بهذا البيت والتنويه بذكره وأفرطوا في استحسانه ، وقالوا : كشف عن العلّة في طروق الخيال ، وبيّن عن المعنى ، والبيت حسن وإنّما أخذ معناه من قول جرّان العود [2]:

---

(1) ديوان أبي تمام ، ص ٢٥٩ .

(2) هو : عامر بن الحارث ، شاعر من بني نمير ، لقّب بجرّان العود لقوله يخاطب امرأتيه :

خذا حذراً يا خلتي فإنّني رأيت جران العود قد كان يصلح

الشعر والشعراء ، ٢/ ٧١٨ .

أهلاً بطيفك من زور أتاك به

حديث نفسك عنه وهو مشغول

فقوله : وهو مشغول ، أي إنّه لم يزرك على الحقيقة ، فبنى أبو تمام من هذا قوله : ما زارك الخيال ، وبنى من قوله : أتاك به حديث نفسك قوله : ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال ، فالمعنى كلّه لجرّان العود ، وإنّما غيّر ابو تمّام اللفظ .

وقال الشريف المرتضى : إنّ لبيتي أب تمّام إحساناً لا يجحد ، وفضلاً لا ينكر ، ومن مدحهما فلم يضع المدح إلاّ في موضعه ، وقول الآمدي : إنّه أخذ معناه من قول جرّان العود فما كان عندي إنّ مثله يذهب عليه مع وضوحه ومعنى (وهو مشغول) ، أي هو مشغول عنك ، ولا تخطر بباله ، ولا يحدّث نفسه بك ، كما تحدث نفسك به ويخطر ببالك ، ولا يفارق ذكرك ، وأراد أن يقابل قوله : حديث نفسك عنه الذي جعله سبباً للطيف وتخيله ، فقابل بقوله : (وهو مشغول) ، أي لا يحدّث نفسه بك كما تحدّث نفسك به .

وقول أبي تمام :

الليالي أحفى بقلبي إذا ما

جرّحته النوى من الأيام

يا لها لذة تنزهت الأر

واح فيها سرّاً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب

غير أنّا في دعوة الأحلام [1]

---

[1] ديوان أبو تمام ، ص ٢٦٢ .

طعن الآمدي في هذه الأبيات وقال : إنّه لا حلاوة ولا طلاوة لها .

وقال عنها الشريف المرتضى : إنّ البيت الأوّل صحيح الوضع مليح المعنى لأنّه إذا كان لا تلاقي بينه وبين محبوبه نهاراً ولا وصل ولا قرب ، وأنّ ذلك كله يكون ليلاً فالليل أنفع له من النهار وأمتع ، وأمّا البيت الثاني ، فجيّد المعنى مليح اللفظ ، ومن عذب اللفظ وغريبه قوله : سراً من الأجسام ، لأنّه لاحظ للأجسام في الانتفاع بطيف الخيال ، وجعل ذلك التمثّل والتخيّل أنّه إنّما هو للأرواح منفردة عن الأجسام ، على مذهب من يرى من الفلاسفة إنّ السبب في رؤيا المنام اطّلاع النفس من عالمها على ما يكون من الأمور ، ويجعلون للنفس ثباتاً وقواماً من غير توسّط الجسد ، هذا وإن كان مذهباً باطلاً فقد دلّت الأدلّة الصحيحة على فساده ، فيجوز أن يستعيره الشاعر في بعض كلامه تعريباً وتقريباً ، وأمّا البيت الثالث ، فهو قريب ، وليس يهجّنه إلاّ لفظة (الدعوة) فإنّها كلمة عاميّة قلما استعملها فصحاء الشعراء [1].

وقول البحتري :

كان الكرى حظّ العيون ولم أخل

إنّ القلوب لهنّ حظ في الكرى

ويعني الشاعر أنّ العيون حيث تودّعت وسكنت عن موالاة النظر والتحديق المتعين لها كان لها بذلك حظ من الكرى دون القلوب ، فإنّ خواطر القلوب وأفعالها تكون في النوم واليقظة ، وما تراد له العيون لا يكون إلاّ في اليقظة دون النوم ، ولمّا كان الخيال في النوم يتمثل للقلب ويتخيل فيسرّ القلب بذلك التخيّل ويعتقده حقيقة يلتذّ به عاجلاً وينتفع به .

---

[1] طيف الخيال ، ص ٣٤ .

وقول البحتري :

منيّتنا عللاً وما أنهلتنا

والوقت ليس يحيل حتى يشهرا

والعلل : هو الشرب الثاني ، والنهل : هو الشرب الأوّل .

والبحتري يعجب من أنّها تمنيّه الشرب الثاني ولم يكن منها شرب أولاً ، ومن لم ينهل لم يعلل ، كما أن الزمان لا يحيل ، أي لا يصير حولاً حتّى يشهر ، فإنّ الشهر قبل الحول ، والنهل قبل العلل .

وقول البحتري :

ويكفيك من حق تخيل باطل

تردّ به نفس اللهيف فترجع [1]

وهذا معنىً جليل القدر ، ثقيل الوزن ، له غور عميق ، وأسّ وثيق ، أراد البحتري أنّ الذي يراد من الحقّ من بلّ الغلّة وإمساك الرمق وتمتّع النفس هو في هذا الباطل ، فقد تساويا في الغرض المقصود ، وقام الحق فيه مقام الباطل .

وقول البحتري :

أخيال علوة كيف زرت وعندنا

أرق يشرّد بالخيال الزائر

طيف ألمّ بنا ونحن بمهمه

قفر يشقّ على الملم الخاطر

---

[1] ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ٢/ ١٢٦٨ . من قصيدة يمدح بها أبا عيسى العلا بن صاعد .

أفضى إليّ شعث تطير كراهم

روحات قود كالقسيّ ضوامر

حتّى إذا نزعوا الدجى وتسربلوا

من نور هلهله الصباح الغائر

ورموا إلى شعب الرحال بأعين

يكسرن من نظر النعاس الفاتر

أهوى فأسعف بالتحيّة خلسة

والشمس تلمع في جناح الطائر

سرنا وأنت مقيمة ولربّما

كان المقيم علاقة للسائر [1]

قال الآمدي : هذا والله الكلام العربيّ المذهّب الذي يبعد على غيره أن يأتي بمثله ، والوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها ، وإنّما يعجب من طروق الخيال مع الأرق الذي يشرّد الخيال فلا يكون معه في موضع العجب ، ولا بدّ أنْ يكون هوّم وأغفى بعض الإغفاء مع طول الأرق ومعالجة السهر ، فطرقه طيف الخيال في ذلك التهويم الخفيف الضعيف وقوله : (يشق على الملم الخاطر) فلم يرد خاطر القلب لأنّ ذلك لا معنىً له في هذا الموضع وإنّما أراد الماشي لأنّهم يقولون : خطر البعير يخطر خطراً ، إذا مشي فضرب بذنبه يميناً وشمالاً والقود : الطوال ، ووصف الإبل بأنّها مع الطول كالقسي من النحول والضمر ، وقوله :

---

[1] ديوان البحتري ، ٢/ ١٠١٦ .

(هلهله الصباح) فالعرب تقول : ثوب هلهلٌ وهلهالٌ ولهلهٌ : وهو الرقيق النسج ، ومنه قيل لنسج العنكبوت الهلهل ، ووصف البحتري أوائل ضوء الصباح بالنائر ، فإنّما أراد المنير ، وفي ذلك لغتان ، نار وأنار ، قال الفرّاء [1] :"أنار الطريق ونار" وذكر مثل ذلك يعقوب [2] . وقال قطرب [3] : نارت النار وأنارت ، ونار البرق وأنار .

وأمّا العلاقة فهي علاقة الحبّ ، وبكسر العين ، فهي عِلاقة السوط وغيره .

وقول البحتري :

إذا ما الكرى أهدى إليّ خياله
شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

إذا انتزعته من يديّ إنتباهة
عددت حبيباً راح منّي أو غدا

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا
نعذّب أيقاظاً وننعم هجّدا [4]

---

[1] هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور ، أبي زكريا الأسلمي ، النحوي المعروف بالفرّاء شيخ النحاة ، توفي سنة ٢٠٧هـ . غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ، ط٣ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١/ ٣٧١ .

[2] هو : يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، أبو يوسف ، كان عالماً بالقرآن ، ونحو الكوفيين ، من أعلم الناس باللغة والشعر ، كان راوية ثقة ، من مصنفاته (إصلاح المنطق) ، و(القلب والإبدال) و(الأضداد) ، و(سرقات الشعراء) ، توفي سنة ٢٤٣هـ . معجم الأدباء ، ٦/ ٢٨٤٠ .

[3] هو : هو أبو علي محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ٢٠٦هـ ، الأعلام ، ٥/ ٢٠٠ .

[4] ديوان البحتري ، ٢/ ٦٧ .

فالشاعر يهديه النوم هديّة غالية هي الجود له وبمحبوبه ليروي به عطشه وشوقه ، وعندما يستيقظ يذهب المحبوب ولا يجد له أثراً ، فهو معذب يقظ لابتعاد المحبوب عنه ، سعيد منعم عندما يهجد ،لأنّ المحبوب يأتيه طيفاً .

وقول البحتري :

منك طيف ألمّ والأفق ملآ
نٌ من الفجر واعتراض عموده
زائر أشرقت لرؤيته اغ
وار أرض العراق بعد نجوده
أرب النفس كله ومتـاع الع
ين في خدّه وفي توريده
معطياً من وصاله في كرى النو
م الذي كان مانعاً في صدوده
يقظات المحب ساعات بؤسا
هـ ونعماء عيشه في هجوده [1]

يصف البحتري خيال المحبوب بأنّه يبذل في النوم بما كان يضنّ به في اليقظة ، ويصل في هذه الحال بعد صدوده في غيرها ، وأنّ النعيم والمنفعة في الهجود مع طيف الخيال ، كما أنّ الشقاء والمضرّة في اليقظة مع هجر الحبيب وصدوده ، وتلك جادة مسلوكة ، وجهة مأنوسة للشعراء .

وقول البحتري :

---

[1] ديوان البحتري ، ٢/ ٥٩٦.

طيف تأوّب من سُعدى فحيّاني

أهواه وهو بعيد النوم يهواني

فيا لها زورة يشفى الغليل بها

لو أنّها جلبت يقظى ليقظانِ

مهزوزة إنْ مشت لم تلف هزّتها

في الخيزران ولم توجد مع البان

يدني الكرى شخصها منّي ويبعدني

هجر فيبعد منّي شخصها الداني [1]

قوله : أهواه وهو بُعيد النوم يهواني يريد به ، إنّني أهواه على الحقيقة وهو بعيد النوم يتخيّل لي شخصه وطيفه وزيارته لي ، فكأنّه يهواني ، والبيت الثالث في غاية الرشاقة والملاحة ، لأنّه يظهر تفوقها في التثنّي ، والبيت الرابع يتخيّل فيه الشاعر ، دنو شخصها ، ومتى ما انتبه وجد شخصها بعيداً ، فكأنّ الاستيقاظ هو الذي أبعد شخصها ، وإنّ الكرى يدنيه .

وقول البحتري :

وزور خيال بعد وهن ألمّ بي

وأحشاؤه من فرط خيفته تهفو [2]

والمعنى إنّ أحشاء صاحب هذا الطيف لو زارني هذه الزيارة ، تهفو من الخيفة فأجرى على الطيف ما هو لصاحب الطيف .

وقول الشريف الرضي :

أراقب من طيف الخيال وصالاً

---

[1] ديوان البحتري ، ٢/ ٢١٧١ .

[2] المرجع السابق ، ٢/ ١٣٥١ .

ويأبى خيال أن يزور خيالا [3]

أراد الشاعر بقوله : يأبى خيال أن يزور خيالا ، الخيال الذي يطرق في النوم ويتمثّل للراغب يأبى أن يزور التخيّل المدنف الذي قد صار خيالاً من النحافة والنحول ، وإنّما سمّي الناحل الذي قد ذاب جسمه وذهب لحمه وغاضت نضارته وذهبت غضاضته خيالاً تشبيهاً بالخيال الذي يتمثّل للنائم وهو ما لا حقيقة له .

وقول الشريف الرضي :

وما كان إلاّ عارضاً من طمّاعةٍ

أزال الكرى عن مقلتيّ وزالا [1]

وذاك وصف للطيف بأنّه طمع كاذب وظنّ باطل وظل زائل .

وقول الشريف الرضي :

يا حبّذا منك خيال سرى

فدلّه الشوق على مضجعي

بات يُعاطيني جني ظلمه

وبتّ ظمآن ولم أنقع

معانقاً كان عناقي له

وراء أحشائي والأضلع

عاقرني يشرب من مهجتي

ريّاً ويسقيني من أدمعي [2]

---

[3] ديوان الشريف الرضي ، تحقيق اللبابيدي ، ط/ دار صادر ، بيروت ، ص ١٦٦ .

[1] ديوان الشريف الرضي ، ص ١٦٧ .

معنى قوله : فدلّه الشوق على مضجعي ، يريد شوقي إليه لا شوقه إليّ لأنّ المحب الكلف بمحبوبه لفرط وجده وكلفه يتخيّل في المنام محبوبه ويتمثل حضوره ، ولهذا أضاف إهتدائه لمضجعه إلى شوقه ، ومعنى قوله : معانقاً كأن عناقي له يريد إنّني تخيّلت بقلبي وجرى على اعتقادي وأنا نائم أنّني معانق له فكأنّ عناقي له من حيث تخيّله بقلبي ، كأنّه في أحشائي ووراء أضلعي والعناق المعتاد الحقيقي إنّما هو بظاهر الأحشاء والأضلع .

وقول الشريف المرتضى :

ماذا على زائري ليلاً على سنة
لو زار صبحاً وطرف العين يقظان
زيارة الطيف ضرب من قطيعته
ووصل من لا تراه العين هجران
وليس ينفعني والبعد أعلمه
قرب أتاني به ظنّ وحسبان (1)

وهذا من هجو الطيف ، لأنّ الزيارة إذا كانت باطلة لا أصل لها فهي على الحقيقة قطيعة ، ووصل من لا تراه العين هجران بغير شبهة ، وإنّ الظن والحسبان اللذين خيّلا النوم في القرب لا ينفعان مع البعد المتحقق المتيـقّن .

وقول الشريف المرتضى :

---

(2) المرجع السابق ، ص ٥٩٩ .

(1) ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق الأستاذ رشيد الصفّار المحامي ، ط/ عيسى البابي الحلبي مصر ، ص ٥٢ .

تلاقينا بأرواح

وفارقنا بأجساد [2]

فالأرواح لا يصحّ عليها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، ولكن الشعراء لمّا رأوا إنّ الأجساد في طيف الخيال لم تتلاق ولم تتدان نسبوا التلاقي إلى الأرواح تعويلاً على قول من جعل النفس لها قيام بنفسها ، وإنّها غير الجسد .

وقول الشريف المرتضى :

بنّا فما نأمل في لقائنا

ذات الثنايا الغرّ إلاّ الحلما

أهوى وإن كانت لنا تعلة

طيفاً يوافي منكم مسلما

يبذل به ما بعد ما ضنّ به

وشافعي النوم العذار والغما

وجاد حلا والدجى شعارنا

بنائل لو كان صبحاً حرما

أحبب بها إلمامة مأمونة

وزورة يزيح فيها التهما

وجدت فيها كلما أحببته

لكن وجداناً يضاهي العدما

ما علمت نفسي بماذا أحببت

ولا الذي جاد عليها علما [1]

---

[2] المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ص ٢١٠ . وفي الديوان (يبذل لي) بدلاً عن (يبذل به) .

معنى البيت الأوّل أنّ التباعد بيننا قويت أسبابه ، وارتجّت أبوابه ، إمّا لبعد المسافات أوقوة الوشايات حتّى ما نطمع في تلاقٍ إلاّ في النوم وهذه غاية اليأس من اللقاء والإجتماع ، وقوله : (شافعي النوم) ، فلمّا كان الشافع يقرّب بعيد الحاجة ويظفر بنجاحها وكان النوم كذلك في طيف الخيال بسبب له سواه سميّ النوم شافعاً في الزيارة وبلوغ المراد منها ، وقوله : (وجاد حلا والدجى شعارنا) ، أي إنّ التمتّع في النوم يكون حلالاً وإن كان في اليقظة حراماً .

ومعنى قوله : (أحبب بها إلمامه مأمونه) ، يحتمل أنّ الاثم والعار فيها مأمونان ويحتمل أيضاً إنّها غير متّهمة ولا مستراب بها وأكّد ذلك بقوله : (زورة يزيح منها التهما) ، ومعنى البيت الأخير أنّ العلم مفقود في طيف الخيال ممن طرقه الخيال ، ومن ذلك الخيال مثال له ومتصوّر به [1] .

---

[1] طيف الخيال ، ص ١٢٦ .

الفصل الثالث

الآراء النقديّة عند الشريف المرتضى من خلال كتابه .

ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأوّل : ما غلب من نصوص في كتابه .

المبحث الثاني : معايير الشريف المرتضى في اختيار النصوص الجيّدة .

المحث الثالث : الآراء النقديّة عند الشريف المرتضى .

المبحث الرابع : الموازنة عند الشريف المرتضى .

المبحث الأول

ما غلب من نصوص في كتابه طيف الخيال

النصوص التي غلبت في كتاب طيف الخيال هي شعر الطائيين ، أبي عبادة البحتري ، وأبي تمّام ، ثم شعر الشريف الرضي ، وشعر الشريف المرتضى .

قال الشريف المرتضى : " رغم ضيق زماني وقلبي وكلال فكري وكثرة هموم صدري ، التمست كتاباً في أوصاف طيف الخيال ، وهو باب قائم بنفسه قد أطال الشعراء فيه وأقصروا ، وأصابوا وأخطأوا ، وتصرفوا وتفننوا ، وقد اعتمدت على إخراج ما في ديواني الطائيين وشعر أخي نضّر الله وجهه وشعري " .

وقد كان البحتري مغرماً متيّماً بالقول في الطيف ، فأكثر فيه وأغزر ، مع تجويد وإحسان ، وافتنان ، وتصرف فيه تصرّف المالكين ، وتمكّن منه تمكّن القادرين ، ولإنّ لأبي تمّام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ، ومحاسن لا يبلغ شأوها [1] .

---

[1] طيف الخيال ، ص ٥ .

قال الآمدي : " هذا باب الفضل فيه للبحتري على أبي تمّام ، وما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : أنّ البحتري هو أشعر الناس والهجهم بذكر الخيل والخيال ، ولم يأتِ عن أبي تمّام فيه إلاّ أبيات يسيرة " [2].

ومما لا شكّ فيه أنّ النصوص التي غلبت في كتاب طيف الخيال هي النصوص التي قيلت في العصر العبّاسي الثاني ، وهذا لا يعني أنّ الشريف المرتضى لم يأخذ من الشعراء في بقيّة العصور ، وإنّما كان بقدر فالغالبيّة كانت للبحتري رائد هذا المجال في العصر العبّاسي الثاني ، وإمام الشعراء في هذا الضرب ، وإنّه ليبدو أثر الشاعر البحتري في الشريف المرتضى واضحاً جلياً إذ إنّه يقتفي أثره لبراعة البحتري في هذا الضرب .

أيضاً من الأسباب التي أدّت لذيوع طيف الخيال وانتشاره بين الشعراء في العصر العباسي الثاني ، الأحداث السياسيّة بين ارتفاع أسرة حاكمة وانهيار أخرى ، وبين أخوة يتناحرون من أجل الملك والسلطان والاستيلاء على مملكة سلطان آخر ، وخلفاء يضعفون أمام السلاطين وثورات بين الشيعة والسنّة .

هذا العصر الزاخر والزاهر بنهضة فكريّة ظلّت طيلة هذه الحقبة المضطربة في إرتفاع وازدهار، ووجد الأدب فيها حظّاً وافراً من التوسّع في أبوابه والتفنن في أساليبه ، وكان لتهافت الملوك والأمراء على اجتذاب الأدباء إلى بلاطهم أثر كبير في حياة هؤلاء الأدباء من بسطة في العيش فهم لا يخافون مزاحمة أو فقر لتعدد مصادر الإرتذاق في دور الأمراء والوزراء والخلفاء [1] .

وأيضاً من الأسباب التي أدّت لذيوع وانتشار أمر الطيف في العصر العباسي الثاني أن جامع النصوص التي ورد فيها الطيف هو صاحب شعر غزير

---

[2] طيف الخيال ، ص ٦ .

[1] طيف الخيال ، ص ١٢ .

في الطيف وهو الذي نال قسطاً وافراً من العلوم أهله لأن يكون قبلة لطلاب العلم ومحط أنظارهم ، فنهلوا من معينه الوافر وفاض علمه على الآخرين من خلال كتبه العديدة التي ألّفها في شتّى ضروب العلم والمعرفة فكان موضع إشادة وتقدير الكثير من العلماء [1].

ونحن نحمد له جمع هذا الضرب البديع في كتابه طيف الخيال .

---

[1] طيف الخيال ، ص ٢١ .

المبحث الثاني
معايير المرتضى في اختيار النصوص الجيّدة

لمّا جاوز المرتضى حدّ الشباب آثر العلم على أبّهة المنصب ، فقد تجمّعت له ثروة ضخمة من علوم الدين والأدب واللغة ، ومكتبة زاخرة بالآلاف من الكتب القيّمة ، وثروة ماديّة أتاحت له حياة رغدة عن غنىً واسع كان يدرّ عليه ما قدّر بأربعة وعشرين ألف دينار في السنة [1].

ذاك غير القرى القائمة على حافتي نهر كبير يجري بينهما إلى الفرات لقد عاش الشريف المرتضى خمسين عاماً من حياته منقطعاً للدرس يحصّل ويلمّ بأطراف العلم من كل جانب ، ثمّ يعلّم تلاميذه ويحاضرهم ويملئ عليهم ويصنّف ويؤلّف ويناظر ويفتي ، فقد جمع إلى حذقه لعلم الكلام وأصول الفقه ما جمع من طرف الشعر ونوادر الأخبار وما أحاط به من أسرار اللغة وتفسير كلام الله فقد كان رحمه الله عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً .

وهذا العلم الغزير جعله بصيراً بمعاني الكلم رقيق الحس ، ذوّاق للجيّد من الشعر يمزج بين الأدب والعلم ويتجلّى اطلاعه الواسع في تحليله ونقده .

---

[1] معجم الأدباء ، مطبوعات دار المامون ، ١٣/ ١٥٤ .

وممّا سبق يمكن لنا أن نشير إلى معايير المرتضى في تصنيف الجيّد من غيره من النصوص وهي تمكّن الشريف المرتضى من اللغة وتذوّقه لها وإلمامه بجميع أطرافها .

ونجد في كتاب طيف الخيال رأياً واضحاً للشريف المرتضى في قضيّة اللفظ والمعنى ، فينحاز المرتضى انحيازاً واضحاً للألفاظ في الكلام الفصيح ويرى أنّها أقوى من حظ المعاني [1].

وفي الكتاب أيضاً يعلن المرتضى حكمه في قضيّة السرقات الشعريّة ويقول : إنّه لا ينبغي لمصنّف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فلان فربّما تواردا فيه من غير قصد حتّى وإن كان أحدهما متقدّماً والآخر متأخراً ، ويقول الشريف المرتضى أيضاً في قضيّة التفرّد بالمعاني : إنّ الخواطر مشتركة والمعاني متاحة لكل خاطر جارية على كل هاجس ، ويقول الشريف المرتضى أيضاً : يجب ألا يطلق أحد في معنى من المعاني إنّه منفرد به وسابق إليه وإن كان لم يُسمع له نظيراً ، ولا عثر له على شبيه لأنّه لا يأمن أن يكون فيما لم يبلغه ولا اتصل به قد ورد ذلك المعنى فإن الخواطر لا تضبط ولا تحصر ولكن الانصاف أن يقال : هذا المعنى نظير هذا المعنى ، ويشبهه ويوافقه ، فأمّا أخذه وسرقه فمما لا سبيل إلى العلم به لانّهما قد يتواردان على ما ذكرنا ، ولم يسمع أحدهما بكلام الآخر ، وربّما سمعه فنسيه وذهب عنه ثمّ اتفق له مثله من غير قصد .

---

[1] طيف الخيال ، ص ٢٣ .

انظر قوله في الردّ على الآمدي حين طعن على أبيات أبي تمّام الميمية بدعوى إنّها لا حلاوة ولا طلاوة لها ، فقال الشريف المرتضى : " إنّ بيت أبي تمّام :

الليالي أحفى بقلبي إذا ما
جرّحته النوى من الأيام [1]

صحيح الوضع مليح المعنى ؛ لأنّه إذا كان لا تلاقي بينه وبين محبوبه نهاراً ولا وصل ولا قرب وأنّ ذلك كله يكون ليلاً فالليل أنفع له من النهار وأمتع ثمّ يتساءل الشريف المرتضى أي شيء يراد من أبي تمّام أن ينتهي إليه في هذا البيت أكثر من هذا ! .

ويعجب أيضاً الشريف المرتضى من قول أبي تمّام :

يا لها لذّة تنزّهت الأر
واح فيها سرّاً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير إنّا في دعوة الأحلام [2]

فيقول عنها الشريف المرتضى : " إنّها جيّدة المعنى ، مليحة اللفظ ، وأنّ قول الشاعر :"سراً من الأجسام" من عذب اللفظ وغريبه لأنّه لاحظ للأجسام في الانتفاع بطيف الخيال ، وجعل ذلك التمثّل والتخيّل إنّما هو للأرواح منفردة عن الأجسام على مذهب من يرى من الفلاسفة أنّ السبب في رؤيا المنام اطلاع النفس

---

(1) ديوان أبي تمام ، ص ٢٦٢ .

(2) المرجع السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

من عالمها على ما يكون من الأمور ، ويجعلون للنفس ثباتاً وقواماً من غير توسّط الجسد [3] .

ولكن الشريف المرتضى رغم إعجابه بأبيات أبي تمّام ، يستهجن قوله : " غير إنّا في دعوة الأحلام " فيقول : " إنّ لفظة الدعوة كلمة عاميّة قلّما يستعملها فصحاء الشعراء .

قال أبو تمّام :

زار الخيال لها لا بل أزاركه

فكر إذا نام فكر الخلق لم ينمِ

ظبي تقنّصته لمّا نصبت له

من آخر الليل أشراكاً من الحلم

ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم

باق وإن كان مغسولاً من السقم [1]

بداية قال الآمدي : عن هذه الأبيات : " زار الخيال لها لا بل أزاركه ليس بالجيّد لأنّه إذا أزاره الفكر فقد زار فما وجه الاستدراك ، فكأنّه أراد أنّ الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنّما أزاره الفكر ، ومثله : قام زيد لا بل اقمته وكأنّ قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام ، بل أقمته أنا ، فلقد عاب الآمدي ثمّ اعتذر لقائله بما هو العذر الصحيح الذي يخرجه من أن يكون معيباً ، ويرى الشريف المرتضى أنّ

---

[3] طيف الخيال ، ص ٢٢ .

[1] ديوان أبي تمام ، تحقيق إيليا الحاوي ، ص ٥٠٧ .

الاستدراك من الشاعر في محلّة وهذا لا شبهة فيه ، وأمّا بقيّة الأبيات فإنّها حسان ، وغرض صحيح مستقيم .

أيضاً يرى الشريف المرتضى إنّه يجود بما هو أفضل من قول أبي تمّام :

زار الخيال لها لا بل أزاركه

فكر إذا نام فكر الخلق لم ينمِ [1]

ومن قوله أيضاً :

نم فما زارك الخيال ولكنـ

ك بالفكر زرت طيف الخيال [2]

وهو قول الشريف المرتضى :

زار وما زار سوى ذكرة

وبيننـا داويـة سملق [3]

وقوله أيضاً :

حتّى التقينا على رغم الرقاد وما

ذاك اللقاء سوى وسواس ذكراك [4]

فالشريف المرتضى يرى أنّ بيتيه أجود في نفي أن تكون زيارة الطيف حقيقيّة .

---

[1] ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ، القاهرة ، ٣/ ١٨٥ .

[2] المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

[3] ديوان الشريف المرتضى ، ٢/ ٣٩٤ .

[4] المرجع السابق ، ٢/ ٤٦١ .

أمّا أبيات البحتري :

إنّ ريّا لم تسقِ ريّا من الوصل

ولم تدرِ ما جوى العشّاق

بعثت طيفها إليّ ودوني

وخد شهرين للمهاري العتاق

زار وهناً من الشام فحيّا

مستهاماً صبّاً بأرض العراق [1]

وقال أيضاً :

وزائر زار من أعقته

يميل وزناً بأنسه زعره

كأنّه جاء منجزاً عدّة

وبتّ في الراقبين انتظره

لم أنسه موشكاً على عجل

مدامجاً للحديث يختصره [2]

والشريف المرتضى يرى أنّ من العجب أن يذكر الآمدي أنّ الأبيات الأخيرة أحسن وأجلى من التي قبلها ، والأمر بخلاف ذلك ، لأنّ الأبيات القافيّة الأولى أطبع وأنصع وأبعد من الكلفة والصنعة فيها اخفى وكلامها أحلى ، أمّا الأبيات الرائيّة فمعانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة وهي مع ذلك في غاية الحسن إلاّ أنّ تفضيلها على الأولى غير صحيح .

---

(1) ديوان البحتري ، ص ٥٧٢ .

(2) المرجع السابق ، ص ١٠٣٣ .

ومن ذلك يتضح لنا جليّاً أنّ الشريف المرتضى بصير بلغة العرب عليم باسرارها ودفائنها ، حاذق لها مما جعله يميّز بين الجيّد والرديء خاصة ما قيل شعراً في وصف طيف الخيال ، والشريف المرتضى كناقد تعتبر مكانته الصدارة لأنّه بصير بمعاني الكلم ، دقيق الحسّ ذوّاق للجيّد من الشعر ، يمزج بين الأدب والعلم ، ويتجلّى اطلاعه الواسع في تحليله ونقده .

المبحث الثالث

الآراء النقديّة عند الشريف المرتضى

تمهيد

تعريف النقد :

لغة : النقد والتنقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيّف منها [1] .

إصطلاحاً : الناقد هو الرجل الذي يستطيع أن يميّز بين الجيّد والرديء من القول معتمداً في هذا التمييز على الخبرة [2] .

" يتصور العرب الناقد والنقد في إطار الصورة العامة للأدب ، فالأدب عندهم صناعة كسائر الصناعات ، وهو صناعة جميلة كالنحت والنقش ، ونسج الثياب وتلوينها ، والنقد صناعة لكنّه غير قائم بذاته بل متصل بالأدب ، فهو صناعة تذوّق لا صناعة خلق وإنشاء ، لهذا فإنّ النقد قائم على وجود الأدب ، وليس فنّاً قائماً بذاته ".

قال ابن سلاّم : " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما يثقفه اللسان ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت ومنها ما تثقفه اليد ، كذلك الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون ، جيّدة الشطب ، معتدلة القامة ، نقيّة الثغر حسنة

---

(1) لسان العرب ، مادة (نقد) .

(2) تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول ، دار المعارف ، مصر ١/ ١٠ .

العينين والأنف ، جيّدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بمائة دينار ومائتي دينار ، وتكون أخرى بأقل من ذلك " [3].

ومن كلام ابن سلاّم هذا نتبيّن أنّ الذوق والخبرة ضروريان ، وأنّ المقاييس التي توضع للشيء الجميل لا تفي ولا تحيط بصفة الجمال كلّها ، ففي الجمال تنوّع وتفاوت لا يستطيع حصرها علم ، وإنّما يسبرها الذوق .

والخبرة متعددة الجوانب منها ما هو طبيعة في الناقد ، وهي موهبة فيه يوهبها كما يوهب الشاعر ملكة الشعر ، ومنها ما هو مكتسب بالدربة والممارسة والصلة الطويلة بالصناعة يتولاها الناقد بنقده فيلمّ بأصولها وخباياها والناقد البصير هو الذي يقول الشعر ويدفع إلى مضايقه فيعرف أسراره وضروراته ويبدع فيه ، لذا كان الناقد الشاعر أبصر من الناقد غير الشاعر وقد اشتهر بين النقّاد الشعراء حمّاد وخلف وابن طباطبا وابن المعتز وابن رشيق وأسامة بن منقذ ، وغيرهم ، وقد انتصروا لهذا الاتجاه ودافعوا عنه ، وأيضاً اهتمّت طبقة أخرى من غير الشعراء بنقد الشعر ودراسات البيان العربي عامة بما فيها الشعر والخطابة والنوادر والأمثال والرسائل ، وعرفوا بحسن الذوق وكانو غير اللغويين والفقهاء ، وعلى رأسهم الجاحظ صاحب البيان والتبيين وهو نفسه الذي نوّه بذكر هذه الطبقة وأشاد بها فقال : " طلبت الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلاّ غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلاّ إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلاّ ما اتصل بالأخبار وتعلّق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلاّ عند أدباء الكتّاب " [1].

---

[3] المرجع السابق ، ص ١١ .

[1] تاريخ النقد العربي ، إلى القرن الرابع الهجري ، ١/ ١٢ .

" وهناك طبقة أخرى هي طبقة العلماء خاصة علماء اللغة والنحو ، وقد كان لهذه الطبقة أثر كبير في النقد العربي في أولى مراحله ، ذلك إنّهم قاموا على جمع اللغة والشعر وتدوينهما ، وكانوا بحكم اتصالهم بالشعر والأخبار وروايتهم للخطب والأمثال أقرب إلى تفهّم النصوص تفهّماً فقهيّاً لغويّاً واستعانوا بهذه الخبرة اللغويّة على نقد الشعر " .

" فاضطربت مقاييس النقد بين هذه الفئات فقد كان لكل منها مقاييس خاصة تتبع من مفهومها للنقد .

والأمر الجدير بالذكر هنا هو ملكة الناقد سواء أكان شاعراً أم ناقداً أم لغويّاً ، وأولى هذه الملكات هي ملكة الذوق ، تلك الملكة التي لا غنى لأي ناقد عنها لأنّها تمكّنه من التعرّف على مواطن الجمال والقبح فيما يعرض له من النصوص عند سماعها أو قراءتها ويستطيع بعد ذلك أن يقف عندها ويتبيّن أسرارها ثمّ يعلل لها بما أوتي من العلم والمعرفة والإحاطة بجوانب الموضوع وبما أوتي كذلك من قدرة على التعمّق والتحليق والاكتشاف ، وقد اهتمّ نقّاد العرب ببيان دور الذوق في النقد ، وأن يفصّلوا في ذلك البيان فيما أوردوا من النصوص مما يشتمّ منه فهمهم لدور الذوق في النقد نصوصاً توحي ولا تحدد تنمّ ولا تفصّل جوانب الذوق وكنهه وقدرته " .

قال الآمدي عن الذوق : " يبقى ما لم يمكن اخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهي علّة ما لا يعرف إلاّ بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة ، وبهذا يفضّل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلّت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبّل لتلك الطبائع وامتزاجها وإلاّ لا يتمّ ذلك بعد ذلك اختيارك وما تفضي عليه فطنتك وتمييزك فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد

عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلاّ من يحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمّل علم ، ومن إذا علم أنصف " [1].

والآمدي نفسه يقسّم ملكة الذوق إلى ثلاثة أقسام :

ألأول الطبع : هو قوة فُطر عليها الناقد واستعداد طبيعي لابدّ من توفّره فيه .

الثاني الحذق : هو قوّة يكتسبها بالممارسة والدربة وطول الاطلاع على آثار الكتّاب والشعراء والتمرّس بالجيّد منها والقبيح ليتعرّف على الأسرار والخبايا .

الثالث جماع الاثنين معاً : ويسميّه الفطنة : وهي امتزاج الطبع بالحذق وصاحب الفطنة أقدر على التمييز والحكم من صاحب الطبع وحده ، أو صاحب الحذق وحده [1] .

والشريف المرتضى كان ناقداً فطناً ، يجمع بين نصاعة الطبع وقوّة الحذق يظهر لنا ذلك جليّاً في آراؤه النقديّة التي وضعها في بعض النصوص ، أو ردّ بها على بعض النقّاد أمثال الآمدي ، ومن أمثلة ذلك :

قال البحتري :

إن العتيد صبابة من لا يني

يدعو صبابته الخيال إذا سرى

تدرين كم من زورة مشكورة

من زائر وهب الخطير وما درى

غاب الوشاة فبات يسهل مطلب

لو يشهدون طريقه لتوعّرا

---

[1] تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، ص ١٣ .

[1] المرجع السابق نفسه ، ص ١٤ .

كان الكرى حظ العيون ولم أخل

أنّ القلوب لهنّ حظّ في الكرى

دمع تعلّق بالشؤون فلم يزل

برح الغرام يسوقه حتّى جرى

منيّتنا علًلاً وما أنهلتنا

والوقت ليس يحيل حتى يشهرا

تالله لم أر مذ رأيت كليلتي

في العلث إلاّ ليلتي في عكبرا

أهوى الظلام وإن أملاه وقد

حدر الصباح نقابه أو أسفرا [1]

قال الآمدي عن هذه الأبيات أولاً : " هذا لعمري هو القول الذي لو ورده الظمآن لروي لكثرة مائه ، والشريف المرتضى يرى بأنّ شعر البحتري في الطيف غير هذه الأبيات انصع وأطبع وأحلى وأعلى واعبق بالقلوب وأعلق بالنفوس .

قال البحتري :

[1] ديوان البحتري ، شرح وتقديم حنّا الفاخوري ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، ١/ ٤٧٨ .وفي الديوان وردت كلمة (العتيد) بدلاً من العميد ، ووردت كلمة (يشوقه) بدلاً من (يسوقه) ، وكلمة (حسر) بدلاً من (حدر) ، وجاء في الديوان بين البيت الخامس والسادس بيت يقول فيه :

قامت تمنيني الوصال لتبتلي جزلى وحاجة أكمهٍ أنْ يبصرا

وما انفك داعي البين حتّى تزايلت

قباب بناها حاضر وخيام

عشيّة ما بي عن شُبيث ترحل

فأمضي ولا لي في شُبيث مقام

فما نلتقي إلاّ على حلم هاجد

يحلّ لنا جدواك وهي حرام

إذا ما تبادلنا النفائس خلتنا

من الجد أيقاظاً ونحن نيام (1)

أولاً قال الآمدي عن هذه الأبيات : " إنّها قول ليس بينه وبين القلب حجاب " ، أمّا الشريف المرتضى فيرى أنّ الآمدي قد صدق في مقالته وأنصف في شهادته ، وإنّ معنى قول البحتري : " يحل لنا جدواك وهي حرام " ، إنّا نظفر في الحلم بما كنّا نخيب عنه في اليقظة ، وننال ما كنّا نزار عنه ، فعبّر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وهذا مليح ومن بارع البلاغة والفصاحة لأنّ الحظر والتحريم منع من الشيء وإن فُعل ، والتحليل بذل له وإن هُجر ويرى الشريف المرتضى أيضاً إنّها هي " تحلّ لنا جدواك وهي حرام " لأنّ الجدوى مؤنّثة وقد رواها الآمدي على التذكير ، وقد يجوز ذلك على المعنى لأنّ معنى الجدوى هو العطاء والفضل والاحسان .

---

(1) ديوان البحتري ، ص ٤١٢ .

قال البحتري :

أرجم في ليلي الظنون وأرتجي

أوائل حبّ أخلفتني أوائله

وليلة هوّمنا على العيس أرسلت

بطيف خيال يشبه الحقّ باطله

فلولا بياض الصبح كان تشبّثي

بعطفي غزال بتّ وهناً أغازله

وكم من يدٍ للّيل عندي حميدة

وللصبح من خطب تذمّ غوائله [1]

قد قال الشريف المرتضى عن هذه الأبيات أنّ قوله : " يشبه الحق باطله " من مليح الكلام ومقبوله ، ويحدد فيها الشريف المرتضى ، أنّ حظ الألفاظ في الكلام الفصيح منظوماً ومنثوراً أقوى من حظ المعاني .

---

[1] ديوان البحتري ، ص ٢١٧ . ووردت في الديوان كلمة (أواخره) بدلاً عن كلمة (أوائله) في البيت الأوّل .

وقال البحتري :

أما معين على الشوق الذي غريت

به الجوانح والبين الذي أفدا

كيف اللقاء وقد أضحت مخيّمة

بالشام لا كثباً منها ولا صددا

تهاجر أمم لا وصل يخلطه

إلاّ تزاور طيفينا إذا هجدا

وقد يزير الكرى من لا زيارته

قصد ويدني الهوى من بعد ما بعدا

بتنا على رقبة الواشين مكتنفي

صبابة تتعاطى البثّ والكمدا

أمّا سألت بشخصينا هناك فقد

غابا وأمّا خيالانا فقد شهدا

ولم يعدني لها طيف فيفجؤني

إلاّ على أبرح الوجد الذي عهدا (1)

قال الآمدي أولاً عن هذه الأبيات : " لو كان البحتري قال : "إلاّ تزاور طيفينا إذا هجدنا" كان عندي أجود ، فكان المعنى ، إنّي إذا هجدت رأيتها في النوم ، فكأنّ نفسي ونفسها اجتمعتا ، وكذلك إذا هجدت هي ترى مثل ما رأيت ويكون "طيفينا" محمولاً على معنى "نفسينا" لأنّ النفس هي التي ترى ما يُرى في النوم ، وهي التي تتمثّل أيضاً ما تتمثّله في اليقظة ، وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله : " إذا

---

(1) ديوان البحتري ، ص ٣٥٩ .

هجدا" يريد النفسين " [2]؛ لأنّ نفس الإنسان هي التي تنام كما قال تعالى : ((**والتي لم تمت في منامها**))[3] ويرى الشريف المرتضى أنّه لا شبهة في قول البحتري إذا قال : " إلاّ تزاور طيفينا إذا هجدنا " لكان صحيحاً مستقيماً ولكن وزن الشعر لم يمكنه من ذلك فعدل إلى لفظ آخر وما أراد إلاّ هذا المعنى بعينه ؛ لأنّ الطيفين الذين هما ما يتمثّل في النوم ويتخيل لا يوصفان بالهجود ولإنّما عبّر بالطيف عن صاحب الطيف وعمّن يتمثّل له ، أو منه الطيف ويرى الشريف المرتضى أيضاً أنّ قول الآمدي : إنّ النفوس هي التي تجتمع وتلتقي ، ويتمثّل لها ما تتمثّله في يقظة ، أو نوم ، وإنّ نفس الإنسان هي التي تنام واستشهاده بالآية الكريمة ما كان ينبغي له الخوض فيه ، فإنّه ليس من عمله ولا ممّا له به علم ، وأيضاً قول الآمدي : " إنّ النفس هي التي ترى في اليقظة والنوم ، وهي التي تنام في الحقيقة خطأ منه فاحش ؛ لأنّه قد أضاف أفعال الحي الذي هو الإنسان المشاهد إلى غيره ، والذي ينام على الحقيقة ويستيقظ هو الحي الذي هو الإنسان المشاهد ، وقوله تعالى : ((**الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**)) فمعناه الصحيح أنّ الله تعالى هو الذي يقبض ويجمع حركات الأحياء ويصرفهم في وقت موتهم ، وقد عبّر بالنفوس عن ذوات الأحياء ؛ لأنّ تصرّف الحي مع النوم وحركته تنقبض وتقل كما تنقبض حركته مع الموت ؛ وإن كان النائم حيّاً ، والميّت فاقد لحياته [1] .

قال البحتري :

---

[2] طيف الخيال ، ص ٥٢ .

[3] الآية ٣٩ ، من سورة الزمر .

[1] طيف الخيال ، ص ٥٢ .

قل للخيـال إذا أردت فعاود

تدنِ المسافة من هوى متباعد

فلأ انت في نفسي وإن عنيتني

وبعثت لي الأشجان أحلى وافد

باتت بأحـلام النيـام تغرّني

رود التثنّي كالقضيب المائـد

ضاهت بحلّتها تلهب خدّها

حتّى غدت في إرجوان جامد (2)

الشريف المرتضى يرى هنا أنّ البحتري وضع قوله : " رود التثنّي" في غير موضعه لأن الرود من النساء السريعة الشباب ، وهذا وصف لا يليق بالتثنّي ، وإنّما يليق بالمرأة ذات التثنّي ، وعذر البحتري في ذلك من وجهين

أحدهما : إنّه استعار للتثنّي وصف صاحبه للمقارنة ، وثانيهما : إنّ سرعة الشباب لا تكون إلاّ مع النعمة والرطوبة ، فحمل على المعنى ، وأراد إنّها ناعمة التثنّي ، أو رطبة التعطّف .

وقال البحتري :

عجباً لطيف خيالك المتعاهد

ولـوصلك المتقارب المتباعد

يدنو إذا بعد المزار وينتـأي

في القرب ليس أخو الـهوى بمعاند

ماذا أراد ملمّ طيفك إذ سرى

---

(2) ديوان البحتري ، ص ٢٨٧ . ووردت في الديوان كلمة (جاسد) بدلاً عن (جامد) في عجز البيت الأخير .

من واغل بين الحوادث شارد

متحيّر يغدو بعزم قائم

في كل نائبة وجد قاعد [1]

قال عن هذه الأبيات الشريف المرتضى : " إنّها حسنة ، وما يشينها إلاّ عجز البيت الثاني في قوله : ليس أخو الهوى بمعاند ، وطرح هذا البيت من أوّله إلى هذا الموضع من آخره طرح صحيح مليح فليته ختمه بمثل ما بدأ به ، ولكن للناظم سكرات وغمرات يدخل عليه فيهن من الشبه ما لا يكاد ينحصر وينضبط ".

قال الشريف الرضي :

طرق الخيال ببطن وجدة بعدما

زعم العوازل إنّه لا يطرق

أتحينا بعد الرقاد وقسوة

أيام أصفيك الوداد وأمذق

إنّي اهتديت وما اهتديت وبيننا

سور عليّ من الظلام وخندق [1]

قد قال عنها الشريف المرتضى : " هذه أبيات ناصعة رائقة عليها مسحة من إعرابيّة وعبقة من بدويّة .

قال عمرو بن قميئة وهو أوّل من نطق بوصف الطيف :

نأتك أمامة إلاّ سؤالاً

---

[1] ديوان البحتري ، ص ٢٦٩ .

[1] ديوان الشريف الرضي ، ص ٤٠ . ووردت في الديوان كلمة (أتحننا) بدلاً عن (أتحينا) . وكلمة (الطعان) بدلاً عن (الظلام) .

وإلاّ خيالاً يوافي خيالا

توافي مع الليل مستوطناً

وتأبى مع الصبح إلاّ زيالا

خيال يُخيّل لي نيلها

ولو قدرت لم تخيل نوالا [2]

أعجب الشريف المرتضى بهذه الأبيات وقال : " انظر إلى هذا الطبع المتدفّق ، والنسج المطّرد المتّسق من إعرابيّ قح كأنّه لانطباع سبكه ، وجودة رصفه ، قد قال في هذا المعنى الكثير ، ونظم منه الغزير ، وقلب ظاهره وباطنه وباشر أوّله وآخره ، وكأنّه قد سمع فيه من أقوال المحسنين وإجادة المجيدين ما سلك منهجه ، وأخرج كلامه مخرجه ؛ لكنّ الله تعالى أودع هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة ، وهداهم من مسالك البلاغة إلى ما هو ظاهر باهر ، ولهذا كان القرآن معجزاً ، وعلماً على النبوّة ، لأنّه أعجز قوماً هذه صفاتهم ونعوتهم .

وثمّة ملاحظة تتمثّل في أنّ الشريف المرتضى في كتابه طيف الخيال كثيراً ما يستشهد بأبيات قالها هو ، ويبيّن فيها سبقه ، وإجادته ، وهي حقّاً كذلك لما يتّسم به الشريف المرتضى من نصاعة بيان وعلم غزير ، مثل قوله :

وليلة بتنا بالإبيرق جاءني

على نشوة الأحلام وهناً رسولها

خيال يريني إنّها فوق مضجعي

---

[2] ديوان عمرو بن قميئة ، ص ١٥ . وقد جاءت الأبيات في الديوان كالآتي :

نأتك أمامة إلاّ سؤالا وأعقبك الهجر منها الوصالا

وجادت بها نيّة غربة تبدل أهل الصفاء الزيالا

ونادى أميرهم بالفراق ثمّ استقلّوا لبين عجالا

وقد شطّ عنّي بالغدير مقيلها

فيا ليلة ما كان أنعم بثّها

تبارح غاويها وغاب عذولها

وما ضرّني منها وقد بتّ راضياً

بباطلها إن بان صبحاً بطولها

فلمّا تجلّى الليل بالصبح وأمحت

دياجر مرخاة علينا سدولها

أفقت فلم يحصل علي من الذي

خدعت به إلاّ ظنون أجيلها [1]

والشريف المرتضى يرى : أنّ أبياته هذه من الفصاحة والطلاوة ما لا يقدر على جحده ، وقال : " أردت الطيف رسولها " لأنّه مذكر بها ومشوّق إليها ولأنّه مثال لها ، ومترجم ، فجرى مجرى الرسول ، والبيت الرابع معناه : إنّه لا يثلم متعتي بالطيف ليلاً ، ولا ينقص لديّ به بيان بطلانه في الصبح لأنّ الحالتين متغايرتان ، وقد قال الناس في الطيف : إنّه ممتع نافع ، وإن كان زوراً وباطلاً .

لكنّهم ما بلغوا هذا التحقيق ، ولا كشفوا عن العلة هذا الكشف الذي كشفته وكان عندي إنّني سابق إلى وصف الطيف ؛بأنّه رسول ، ومتفرّد بهذا المعنى حتّى إذا كان إنْ قال البحتري :

إذا أرسلت طيفاً يذكرني الجوى

رددت إليّها بالنجاح رسولها [1]

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، شرح د. محمد التونجي ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، دار الجيل ، بيروت ، ١٠١ – ١٠٢ . وقد ورد في الديوان كلمة (بالغوير) بدلاً عن (الغدير) ، وكلمة (وخاب) بدلاً عن (وغاب) .

وقال أيضاً :

وليلة هوّمنا على العيس أرسلت

بطيف خيال يشبه الحقّ باطله (2)

قال الشريف المرتضى : هذا نظير قولي : " جاءني رسولها " ولكن كما قلت واعدت كثيراً إنّه لا ينبغي لمصنف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فلان لأنّه قاطع على ما لا يأمن هذا أن يكون كذباً فربّما تواردا فيه من غير قصد ، والأولى أنْ يقال : هذا نظيره وشبهه (3).

قال الشريف المرتضى :

ألمّ خيال من أميمة طارق

ومن دون مسراة اللوى والأبارق

ألم بنا لم ندرِ كيف لمامها

وقد طال ما عاقته عنّا العوائق

فلله ما أولى الكرى في دجنة

جفتها الدراري طلعاً والبوارق

نعمنا به حتّى كأنّ لقاءنا

وما هو إلاّ غاية الزور صادق

فيا زائري في الليل إلاّ وصبحنا

تسلّ علينا منه بيض زوالق

---

(1) ديوان البحتري ، ص ١٧٩٧ .

(2) المرجع السابق ، ص ١٦١١ .

(3) طيف الخيال ، ص ١٤١ .

وكيف ارتضيت الليل والليل ملبس

تضلّ به عنّا وعنك الحقائق

تخيل لي قرباً وأنت بنجوة

وتوهمني وصلاً وأنت مفارق [1]

الشريف المرتضى يرى أنّ هذه الأبيات ذات فضل لاستواء نسجها الذي يشهد به المعيّر الشامت ، والعدوّ الماقت ، وقد حدّد في البيت الرابع أنّ التخيّل قوي واشتدّ حتّى لم يكُ فرق بينه زبين الحقّ الصحيح ؛ فلذلك تضاعفت المتعة وتكاثفت النعمة واللذّة [1] .

قال أبو تمّام :

الليالي أحفى بقلبي إذا ما

جرّحته النوى من الأيام

يا لها لذّة تنزهت الأرواح

فيها سارٍ من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب

غير أنّا في دعوة الأحلام [2]

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ص ٤٠٤ – ٤٠٥ . وقد ورد في الديوان (طَلَعٌ وبوارق) بدلاً عن (طلعاً وبوارق) ، و(فما زارني) بدلاً عن (فيا زائري) ، (فكيف) بدلاً عن(وكيف) ، وكلمة (المفارق) بدلاً عن (مفارق) .

[1] طيف الخيال ، ص ١٧١ .

[2] ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، ٤/ ٣١٢ .

قال عن هذة الأبيات أولاً الآمديّ : " ليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة ، والشريف المرتضى بما له من حسّ شاعر وعين فاحصة وأذن ذوّاقة يرى أنّ في الأبيات إحساناً لا يجحد ، وفضلاً لا يُنكر ، ومن مدحهما لم يضع المدح إلاّ في موضعه [3].

قال البحتري :

قد كان طيفك مرّة يغري بي

يعتاد ركبي طارقاً وركابي

فالآن ما يزدار غير مغبّة

ومن الصدود زيارة الأغباب [4]

قال عن هذه الأبيات الشريف المرتضى : " إنّها من ألطف الكلام ، وأشدّه وصولاً إلى كل قلب " .

قال البحتري :

وزور خيال بعد وهن ألمّ بي

وأحشاؤه من فرط خيفته تهفو [1]

قال الشريف المرتضى : " إن قيل : كيف يليق هذا الوصف بالخيال ؟ أقول : المعنى إنّ أحشاء صاحب هذا الطيف ، لو زارني هذه الزيارة تهفو من الخيفة ، فجرى على الطيف ما هو لصاحب الطيف ، وهذا توسع يحتمل للشعراء ويحسن منهم .

---

[3] طيف الخيال ، ص ١٣٦ .

[4] ديوان البحتري ، ص ١٦٧ .

[1] ديوان البحتري ، ص ٥٣٨ . ورواية هذا البيت مخالفة للنسخ الباقية ، وهي :

وزور خيال بعد وهن يزوره   وأحشاؤه للبين من خيفة تهفو

قال البحترى :

خطرت في النوم منها خطرة

خطرة البرق بدأ ثمّ اضمحلّ

أيّ زور لك لو قصداً سرى

وملمّ بك لو حقّاً فعل

تتراءى والكرى في مقلتي

فإذا فارقها النوم بطل [2]

قال الشريف المرتضى : " لهذه الأبيات الملاحة كلها ، والحلاوة جميعها وهي جديرة بالطرب حقيقة بالعجب [1] .

---

[2] المرجع السابق ، ص ١٧١٥ – ١٧١٦ .

[1] طيف الخيال ، ص ٥٨ .

المبحث الرابع

الموازنة عند الشريف المرتضى

تمهيد

تعريف الموازنة :

لغة : وازنت بيت الشيئين موازنة ووزاناً ، وهذا يوازن هذا ، إذا كان على زِنته ، أو كان محازيه [1] .

اصطلاحاً : الموازنة الشعريّة : هي الأداة النقديّة التي استعملها النقّاد العرب القدامى في قضيّة السرقات الشعريّة على طول مسيرتهم النقديّة ، للبحث في كل القضايا النقديّة التي طرقوها إذ كان منهجهم التحليل والتدقيق والمفاضلة والموازنة .

وسوف أقوم بعرض بعض مناهج الموازنة ، وأنواعها التي مارسها النقاد القدامى ، والتي ظهرت أوّلاً كمفاضلة ثمّ طبقات تقوم على مقاييس فنّيّة ، أو وفقاً لأهواء وعصبيات العشائر ، وهذا النوع من النقد لا طائل منه ؛ لأنّ الأحكام فيه مقتضبة غير مفصّلة ولا صادرة عن مناهج مستقيمة وهو يدلّ على روح بدائيّة ساذجة ، هي روح البداوة البعيدة عن الروح العلميّة كل البعد ، وهذا المظهر من الموازنة نجده في النقد الذي كان دائراً في العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام حيث الإحتكام للأحكام الجزئيّة الخالية من التعليل ، وهي نظرة لم تتحرر من

---

[1] الصحاح ، للجوهري ، مادة (وزن) ، ولسان العرب ، مادة (وزن) .

العصبيّة القبليّة ، فلكلّ قبيلة شاعر تؤثره ، ولكل ناقد شاعر يقدّمه على غيره من الشعراء [1] .

ونجد المفاضلة في فكرة الطبقات التي وقف بها الأدباء في أواخر القرن الأوّل الهجري ، وفي القرن الثاني الهجري ، عند جعل الثلاثة " جرير والفرزدق ، والأخطل" طبقة واحدة ، وتوسّع الأمر عند ابن سلاّم الجمحيّ حيث جعل الشعراء في الجاهليّة والإسلام طبقات احتكم فيها إلى كثرة شعر الشاعر ، وجودته ، وتعدد أغراضه ، وطبيعي إنّ المفاضلة بين شاعرين على أساس كثرة الشعر وتعدد الأغراض فيه إجحاف في حقّ أحد الشاعرين وتجاهل الناحية الفنيّة الشعريّة البحتة التي يجب أنْ تكون أساساً في المفاضلة والموازنة بين الشعراء ، أي أنّ الجودة هي الأساس دائماً فلا طائل من كثرة القصائد مع نقصانها للجودة .

" وأوّل من أوجد منهجاً علميّاً للموازنة ، هو الآمدي في كتابه الموازنة بين الطائيين ، حيث الاحتكام إلى الجودة ، وإصابة المعنى ، ودقّة الصورة ، أو غيرها من فنّيات القصيدة ، فموازنة الآمدي موازنة فنّية ؛ لأنّه استطاع أن يجعل لموازنته قيمة حقيقيّة ؛ لأنّه لم يقصرها على البحتري ، وأبي تمّام ، بل أحاط بكل معنى عرض له الشعراء المختلفون ، فإذا تكلّم عن التسليم على الديار مثلاً ، لم يورد ما قاله الشاعران فحسب ، وإنّما يورد ما قاله غيرهما ، ويقارن بين الجميع ، حتّى لتعتبر موازنته موسوعة في المعاني الشعريّة التي تناولها الشعراء العرب في كافة العصور ، ثمّ إنّه لا يقف على مجرّد المفاضلة بين الشاعرين ، بل يتعداها إلى

---

[1] النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللّغة ، مترجم عن الأستاذين لانسون ومابيه للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، ص ٣٣٤.

إيضاح خصائص كل منهما ، وما انفرد به أحدهما دون صاحبه ، أو دون غيره من الشعراء ، ولكنّه لا يفسّر سبب ما يلاحظه وإنّما يكتفي بأن يناقشه من الناحية الشعريّة ، أو الإنسانيّة " [1].

" وتختلف الموازنة عن النقد في أنّها مجهود مزدوج ، فالناقد ينظر إلى النصّ الأدبي من خلال عناصره التي تكسبة الجودة أو الرداءة ، ثمّ يقابله بالروائع الأدبيّة التي تشبهه ، وتنتهي مهمته عند هذا الحدّ ، أمّا الموازن فإنّه مكلّف بالنظر في نصّين أدبيين أو أكثر مقابلاً هذا بذاك ، ومفاضلاً بين ما يحمل كل نصّ من عناصر الجودة ، وبين ما يحويه النصّ الآخر ، ثمّ هو مطالب ألاّ يحكم قبل أن يعرض كل ذلك على المقاييس التي انتهى إليها كبار النقاد والذواقين ، ولهذا يجوز لنا أن نقول : أنّ الموازنة نقد أدبيّ خاص لا يطبّقه كل ناقد ؛ لأنّها تتطلّب وعياً أدبيّاً ، وثقافةً ، وإلماماً كاملاً بظروف من تجري الموازنة في أعمالهم الأدبيّة " [2].

" وفي إطار النقد العربيّ القديم للشعر نجد أنّ الحديث عن المذاهب الشعريّة المختلفة لدى الشعراء في صدر الإسلام ، كان له أثره في الموازنة بين الشعراء في تلك الفترة ، فقد وقف النقاد على خصائص الشعراء الإسلاميين وفنونهم ومذاهبهم الأدبيّة ، فعرفوا الأغراض التي يجيد فيها الشاعر ، وتعرّضوا من ثمّ للأغراض المختلفة فكانت الموازنة بين الشعراء على عدّة صور مثل : الأغراض التي طرقوها قلّة وكثرة ، وفي تأتيهم لتلك الأغراض ، وفي قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروي ، وفي بيتين قيلا في غرض واحد ، فذاع

---

(1) النقد المنهجي عند العرب ، ص ٣٤٤ .

(2) معالم النقد الأدبي ، ، عبد الرحمن عثمان ، القاهرة ١٩٩٦م ، ١/ ١٧٧ .

أحدهما وسار وسكن الآخر وخمل ، وفي منزلة الشاعرين ، وأين يوضعان ، وقد يكون الحكم بالحلاوة والرزانة الموصوف بها بيتاً من الأبيات يرجع إلى ذوق الناقد الذي عرفة بالفطرة ورهافة الحسّ دون أن يخضعة إلى مقاييس محدده بل عرفة بالمراس والدربة والدراية " [1].

لقد وضع الآمدي منهجاً سليماً للموازنة يخرج عن الهوى ، والميل الشيء الذي من شأنه إفساد أمر الموازنة والتقليل من قيمتها الأدبيّة ، والفنيّة والعلميّة ، فلا بدّ للناقد الموازن أن يلزم الحياد قدر ما استطاع ذلك ؛ لأنّ الموازنة نوع من القضاء ، " فكما يجب على الحكم أن ينزّه نفسه عن جميع الأغراض حين يتقدّم للحكم بين الناس ، كذلك يجب على الناقد الموازن ، أن يبرئ نفسه من جميع الأغراض ، يتقدّم للموازنة بين الشعراء ، فإذا أردت أن توازن بين شاعرين فامتحن نفسك قبل ذلك ، فإن رأيت في نفسك الميل لتفضيل أحدهما عن الآخر لسبب لا تسيطر عليه الحاسّة الفنيّة فاعلم أنّك في ترجيحك متّهم ظنين ، وإن رأيت نصرة الأدب والحق تغلب على جميع ما لك من النوازع وآنست في نفسك القدرة على مقاومة ما يعتريك من التقاليد ، فتقدّم إلى الموازنة وثق أنّ الرغبة في نصرة الحق حليفة الفوز المبين " [2].

والأسلم في أمر الموازنة أن تترك الحكم الفصل وتكتفي بتفصيل محاسن ومساوي كل من الشاعرين أو النصّين كما فعل الآمديّ في معظم موازناته ، إذ أنّ

---

[1] النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٤٦ .

[2] الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، مصر ١٩٦٣م ، ص ٣٣ – ٣٤ .

الحكم الفصل ليس بالأمر السهل اليسير ، بل يتطلّب الحذق العالي ، والمقدرة الفنيّة العالية في حكم الشعر .

ومن الملاحظ أنّ الشريف المرتضى بما له من علم وثقافة ومعرفة ، كان يجري موازناته بفطرته العالية ، ورهافة حسّه ، والمراس ، والدربة ، والدراية دون تحقيق مقاييس معيّنة من مقاييس الموازنة آنفة الذكر ، وذلك مثل قوله موازناً بين بيتي أبي تمّام ، وبيتيه في تحقيق السبب في طيف الخيال ونفي أن تكون زيارته حقيقيّة :

١/ قال أبو تمّام :

زار الخيال لها لا بل أزاركه

فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم [1]

وقال أيضاً :

نم فما زارك الخيال ولكنـ

ك بالفكر زرت طيف الخيال [2]

٢/ وقال الشريف المرتضى :

زار وما زار سوى زكرة

وبيننا داويـة سملـق [3]

وقال أيضاً :

حتّى التقينا على رغم الرقاد وما

---

[1] ديوان أبي تمام ، ٣/ ١٨٥ .

[2] المرجع السابق ، ٢٥٩ .

[3] ديوان الشريف المرتضى ، ٢/ ٣٩٤ .

ذاك اللقاء سوى وسواس ذكراك [1]

ورؤية الشريف المرتضى إنّ بيتيه أجود وأنصع في تحقيق السبب في طيف الخيال من أبيات أبي تمّام .

قال الشريف المرتضى :

ألمّت بنا بعد الهدوء وربّما
ألمّ بنا من ليس نرجو لمامه
فيا لك من يوم شحطت بياضه
فلم يعدني حتّى رضيت ظلامه
ومن مغرم يقلي لذيذ انتباهه
ويهوى لمّا جرّ المنام منامه
ومن مسعف جنحا بطيب عناه
وكم حرم العشّاق صبحاً كلامه
فإن لم يكن حقّاً فقد بات مغرم
يداوي بتلك الباطلات سقامه
فحبّ به من باذل لي حلاله
وفادٍ بذاك البذل منّي حرامه
ومن ملتقىّ عذب المذاق ربحته
فلم يرض لي حتّى ربحت أثامه

ولا عيب فيه غير قرب زواله

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ٢/ ٤٦١ .

على أنّ مشتاقاً أراد دوامه [1]

يرى الشريف المرتضى أنّ أبياته هذه بها حسن تصرّف وتقلّب في أوصاف الطيف ، وخروج من معنى إلى غيره بكلام جزل سهل ، وقد تضمّن البيت الذي أوله : " فحبّ من باذل لي حلاله " ، والبيت الذي يليه ، معنى في الطيف غريباً ، ما ظفرت بنظير له إلى الآن في الشعر المدوّن لأنّ بلوغ الغاية في المتعة بطيف الخيال لا يكون إلاّ مباحاً لا اثم فيه ولا عاراً ، وقد يكون حراماً ، وإثماً ، وعاراً ، لو كان في اليقظة وعلى الحقيقة ، وإن اشتبه سبق البحتري إلى هذا المعنى بقوله :

فما نلتقي إلاّ على حلم هاجد

يحلّ لنا جدواك وهي حرام [2]

فإنّي أرى إنّ البحتري إنّما عني أنّ النوم بيذل لنا جدواك بعد أن كانت ممنوعة ، فعبّر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وذلك مليح منه ، ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقيين ، وإنّما أراد إنّا لا نلتقي إلاّ في النوم الذي هو بدل من الالتقاء ما كان ممنوعاً ، فكأنّه أحلّ حراماً ، وإن قيل : يجوز أن يكون عني ما ذكرته ، وعني أيضاً التمتّع في النوم يكون حلالاً ، وإن كان في اليقظة حراماً ، وأقول أيضاً : إنّ الجدوى هي العطيّة ، والعطاء لا يحرّم على الحقيقة في اليقظة ، ويحلّ في النوم ، والمتعة في الطيف هي التي لها هذه الصفة وإن قيل ايضاً أراد بالجدوى ضروب التمتّع والتلذذ ، أقول : هذا عدول عن ظاهر الكلام بغير ضرورة

---

[1] ديوان الشريف المرتضى ، ٣/ ٢٤٧ – ٢٤٨ .

[2] ديوان البحتري ، ٢/ ٤١٢ .

، ولو أنّ مقسماً أقسم على أنّ البحتري ما خطر بباله ما صرّحنا به في الأبيات الميميّة ، وإنّما تمنّى ما حكيناه لكان صادقاً [1].

وأمّا قول الفرزدق :

إذا ما نأت عنّي حننت وإن دنت
فأبعد من بيض الأنوق كلامها
وتمنع عيني وهي يقظى حلالها
ويبذل لي عند المنام حرامها [2]

وهذا ليس له بالمعنى الذي اختصصت به شبه وإن كان الفرزدق قد أتّى بلفظ التحليل والتحريم ،وليس المعوّل على الألفاظ ، وإنّما المعوّل على المعاني والفرزدق أراد إنّها تمنع عينه وهي يقظى ما هو حلال من النظر إليها والتسليم عليها ، وتبذل له عند منامه ما هو حرام من التمتّع التام بها ، وهذا ضدّ ما قصدته أنا من المعنى ؛ لأنّ الفرزدق قرن التحليل باليقظة ، والتحريم بالمنام وأنا جعلت التحليل في النوم ، والتحريم في اليقظة ، فكل منّا قصد مقصداً صحيحاً ، فانا أردت أنّ التمتّع الذي نلته في النوم حلالاً ، ولو كان في اليقظة لكان حراماً، والفرزدق أراد ، إنّه تمتّع في اليقظة من كلام ، وما أشبهه ، حلالاً وبذلت له عند المنام ما هو حرام ، وإنّما يريد إنّه حرام لو كان في اليقظة ، فإنّ ما يكون في النوم لا يكون حراماً [1].

---

[1] طيف الخيال ، ص ١٤٦ .
[2] ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ٢/ ٢٢٩ .

[1] طيف الخيال ، ص ١٤٩ .

خاتمة

وتشمل :

- نتائج البحث .
- توصيات البحث .

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات الذي أعانني على إكمال هذا البحث وهو جهد المقل في البحث عن حياة وفن كاتب علم لا يمكن تجاوزه في العصر العباسي .

وأحسب أنّ هذا الجهد ما هو سوى سبر أغوار ومحاولة كشف لأسرار حياة كاتب ملأت سيرته وعلمه وكتبه العصر العباسي الثاني وازدانت المكتبة العربيّة بفنونه في شتّى المجالات من العلوم .

فالحمد لله من قبل ومن بعد فإذا وفّقت في عرض سيرة وفن الشريف المرتضى فلله الحمد والشكر ، وإن قصرت فليكن جهداً يأتي من يوفيه حقّه كاملاً بإذن الله .

نتائج البحث :

توصلت لعدة نتائج منها :

- ❖ يظهر أثر البحتري واضحاً جليّاً في شخصيّة الشريف المرتضى من خلال كتابه طيف الخيال .
- ❖ تناول الشريف المرتضى في كتابه الطيف والخيال مستنداً على النصوص الشعريّة فيهما من العصر الجاهلي مروراً بعصر صدر الإسلام فالعصر الأموي ثمّ العصر العباسي .
- ❖ على الرغم من كثرة وجودة شعر المتنبئ في الطيف والخيال ، إلاّ أنّ الشريف المرتضى ، قد أغفله تماماً ، ولم يورد له بيتاً واحداً ، وذلك نسبة لخصومة بين المتنبئ والبيت العلوي .

- ❖ جمع الشريف المرتضى بين فنون الأدب عامة من تأليف وشعر ونقد .
- ❖ نسبة كتاب طيف الخيال إلى الشريف المرتضي ، وليس إلى الشريف الرضي .

توصيات البحث :

مما لا شكّ فيه إنّ جهد البشر مهما كان دقيقاً يكون النقصان فيه فالكمال لله وحده ، وأنا أوصي كل باحث يبحث في العصر العباسي أن يلتفت إلى الشريف المرتضى ، الكاتب ، الشاعر ، الناقد ، العلامة ، وأن يوفيه حقّه كاملاً لأنّ الشريف المرتضي وبما أسداه للمكتبة العربيّة من علم غزير ، وكتب قيّمة وشعر رصين ، لا غنى لكل باحث أنْ يرجع إليه ، وينهل من فيضه .

فهارس عامة

وتشمل :

- ❖ فهرس الآيات القرآنية .
- ❖ فهرس الأبيات الشعريّة .
- ❖ فهرس الأعلام .
- ❖ فهرس المصادر والمراجع .
- ❖ فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأبيات الشعريّة

الرقم	البيت	القائل	الصفحة
قافية الألف			
١	**كان الكرى حظّ العيون ولم أخل** **إنّ القلوب لهنّ حظ في الكرى**	البحتري	٤٣
٢	**منيّتنا عللاً وما أنهلتنا** **والوقت ليس يحيل حتى يشهرا**	البحتري	٤٣
٣	**إن العتيد صبابة من لا يني** **يدعو صبابته الخيال إذا سرى** **تدرين كم من زورة مشكورة** **من زائر وهب الخطير وما درى** **غاب الوشاة فبات يسهل مطلب** **لو يشهدون طريقه لتوعّرا** **كان الكرى حظ العيون ولم أخل** **أنّ القلوب لهنّ حظّ في الكرى** **دمع تعلّق بالشؤون فلم يزل** **برح الغرام يسوقه حتّى جرى** **منيّتنا عللاً وما أنهلتنا** **والوقت ليس يحيل حتى يشهرا** **تالله لم أر مذ رأيت كليلتي** **في العلس إلاّ ليلتي في عكبرا**	البحتري	٦٧ – ٦٨

	أهوى الظلام وإن أملاه وقد حدر الصباح نقابه أو أسفرا		
قافية الباء			
٤	إنّي سريت وكنت غير سروب وتقرّب الأحلام غير قريب ما تمنعي يقظي فقد تؤتينّه في النوم غير مصرّد محسوب كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب	قيس بن الخطيم	٣٠
٥	إذا علويّ لم يكن مثل طاهر فما هو إلاّ حجّة للنواصب	المتنبئ	٣٩
٦	قد كان طيفك مرّة يغري بي يعتاد ركبي طارقاً وركابي فالآن ما يزدار غير مغبّة ومن الصدود زيارة الإغباب	البحتري	٧٨
قافية الدال			
٧	قل للخيال إذا أردت فعاود تدنِ المسافة من هوى متباعد فلأ انت في نفسي وإن عنيتني وبعثت لي الأشجان أحلى وافد باتت بأحلام النيام تغرّني رود التثنّي كالقضيب المائد	البحتري	٧٢

	ضاهت بحلّتها تلهب خدّها **حتّى غدت في إرجوان جامد**		
٨	**طاف الخيال بنا في ليلة الوادي** **من أم عمرو ولم يلمم بميعاد** **إنّي اهتديت لركب طال حبسهم** **في سبسب بين دكداك وأعقاد**	عبيد بن الأبرص	٣١
٩	**عجباً لطيف خيالك المتعاهد** **ولوصلك المتقارب المتباعد** **يدنو إذا بعد المزار وينتأي** **في القرب ليس أخو الهوى بمعاند** **ماذا أراد ملمّ طيفك إذا سرى** **من واغل بين الحوادث شارد** **متحيّر يغدو بعزم قائم** **في كل نائبة وجد قاعد**	البحتري	٧٣
١٠	**إذا ما الكرى أهدى إليّ خياله** **سقى قربه التبريحا أو نقع الصدى** **إذا انتزعته من يديّ إنتباهة** **عددت حبيباً راح منّي أو غدا** **ولن أر مثلينا ولا مثل شأننا** **نعذّب أيقاظاً وننعم هجّدا**	البحتري	٤٦
١١	**أما معين على الشوق الذي غربت** **به الجوانح والبين الذي أفدا**	البحتري	٧٠ – ٧١

	كيف اللقاء وقد أضحت مخيّمة **بالشام لا كثباً منها ولا صددا** **تهاجر أمم لا وصل يخلطه** **إلاّ تزاور طيفينا إذا هجدا** **وقد يزير الكرى من لا زيارته** **قصر ويدني الكرى من بعد ما بعدا** **بتنا على رقبة الواشين مكتنفي** **صبابة تتعاطى البثّ والكمدا** **أمّا سألت بشخصينا هناك فقد** **غابا وأمّا خيالانا فقد شهدا** **ولم يعدني لها طيف فيفجؤني** **إلاّ على أبرح الوجد الذي عهدا**			
١٢	**منك طيف ألمّ والأفق ملآ** **نٌ من الفجر واعتراض عموده** **زائر أشرقت لرؤيته اغ** **وار أرض العراق بعد نجوده** **أرب النفس كله ومتاع الع** **ين في خدّه وفي توريده** **معطيً من وصاله في كرى النو** **م الذي كان مانعاً في صدوده** **يقظات المحب ساعات بؤسا** **هـ ونعماء عيشه في هجوده**	البحتري	٤٧

١٣	**تلاقينا بأرواح** **وفارقنا بأجساد**	الشريف المرتضى	٥٠
قافية الراء			
١٤	**أخيال علوة كيف زرت وعندنا** **أرق يشرّد بالخيال الزائر** **طيف ألمّ بنا ونحن بمهمه** **قفر يشقّ على الملم الخاطر** **أفضى إليّ شعث تطير كراهم** **روحات قور كالقسيّ ضوامر** **حتّى إذا نزعوا الدجى وتسربلوا** **من نور هلهله الصباح النائر** **ورموا إلى شعب الرحال بأعين** **يكسرن من نظر النعاس الفاتر** **أهوى فأسعف بالتحيّة خلسة** **والشمس تلمع في جناح الطائر** **سرنا وأنت مقيمة ولربّما** **كان المقيم علاقة للسائر**	البحتري	٤٤ – ٤٥
١٥	**وزائر زار من أعقته** **يميل وزناً بأنسه زعره** **كأنّه جاء منجزاً عدّة** **وبتّ في الراقبين انتظره**	البحتري	٦٢

	لم أنسه موشكاً على عجل **مدامجاً للحديث يختصره**		
١٦	**فلمّا انتبهت وجدت الخيال** **أماني نفسي وأفكارها**	الكميت	٣٧
قافية السين			
١٧	**تأويني دائي القديم فغلسا** **أحاذر أن يرتدّ دائي فانكسا**	امرؤ القيس	٣٠
١٨	**إذا نحن عرّسنا بأرض سرى بها** **لنا هوى لبّسته بالقلوب اللوابس** **نأت دار ميّ أنْ تزار وزورها** **إذا ما دجا الإظلام منّا وساوس**	ذو الرّمة	٣٥
قافية العين			
١٩	**يا حبّذا منك خيالاً سرى** **فدلّه الشوق على مضجعي** **بات يُعاطيني جني ظلمه** **وبتّ ظمآن ولم أنقع** **معانقاً كان عناقي له** **وراء أحشائي والأضلع** **عاقرني يشرب من مهجتي** **ريّاً ويسقيني من أدمعي**	الشريف الرضي	٤٩
٢٠	**ويكفيك من حق تخيل باطل** **تردّ به نفس اللهيف فترجع**	البحتري	٤٤

قافية القاف			
٢١	زار وما زار سوى ذكرة وبيننا داوية سملق	الشريف المرتضى	٦١ ، ٨٥
٢٢	طرق الخيال ببطن وجدة بعدما زعم العواذل إنّه لا يطرق أتحينا بعد الرقاد وقسوة أيام أصفيك الوداد وأمذق إنّي اهتديت وما اهتديت وبيننا سور عليّ من الظلام وخندق	الشريف الرضي	٧٣ – ٧٤
٢٣	إنّ ريّا لم تسقِ ريّا من الوصل ولم تدرِ ما جوى العشّاق بعثت طيفها إليّ ودوني وخد شهرين للمهاري العتاق زار وهناً من الشام فحيّا مستهاماً صبّاً بأرض العراق	البحتري	٦١ – ٦٢
٢٤	ألمّ خيال من أميمة طارق ومن دون مسراة اللوى والأبارق ألم بنا لم ندرِ كيف لمامها وقد طال ما عاقته عنّا العوائق فلله ما أولى الكرى في دجنة جفتها الدراري طلعاً والبوارق	الشريف المرتضى	٧٧

	نعمنا به حتّى كأنّ لقاءنا وما هو إلاّ غاية الزور صادق فيا زائري في الليل إلاّ وصبحنا تسلّ علينا منه بيض زوالق وكيف ارتضيت الليل والليل ملبس تضلّ به عنّا وعنك الحقائق تخيل لي قرياً وأنت بنجوة وتوهمني وصلاً وأنت مفارق		
قافية الكاف			
٢٥	حتّى التقينا على رغم الرقاد وما ذاك اللقاء سوى وسواس ذكراك	الشريف المرتضى	٦١ ، ٨٦
قافية اللام			
٢٦	نأتك أمامة إلاّ سؤالا وإلاّ خيالاً يوافي خيالا توافي مع الليل مستوطناً وتأبى مع الصبح إلاّ ذيالا خيالاً يخيّل لي نيلها ولو قدرت لم يخيل نوالا	عمرو بن قميئة	٢٩ ، ٧٤
٢٧	وما كان إلاّ عارضاً من طمّاعةٍ أزال الكرى عن مقلتيّ وزالا	الشريف الرضي	٤٩
٢٨	أراقب من طيف الخيال وصالاً ويأبى خيال أن يزور خيالا	الشريف الرضي	٤٨

٢٩	**فقل لخيال الحنظليّة ينقلب** **إليها فإنّي واصل حبل من وصل**	طرفة بن العبد	٣٢
٣٠	**خطرت في النوم منها خطرة** **خطرة البرق بدأ ثمّ اضمحلّ** **أيّ زور لك لو قصداً سرى** **وملمّ بك لو حقّاً فعل** **تتراءى والكرى في مقلتي** **فإذا فارقها النوم بطل**	البحتري	٧٩
٣١	**عادك الزور ليلة الرمل من** **رملة بين الحمى وبين المطالي** **نم فما زارك الخيال ولـ** **كنك بالفكر زرت طيف الخيال**	أبو تمام	٤١
٣٢	**نم فما زارك الخيال ولكنـ** **ك بالفكر زرت طيف الخيال**	أبو تمام	٦١ ، ٨٥
٣٣	**وليلة بتنا بالإبيرق جاءني** **على نشوة الأحلام وهناً رسولها** **خيال يريني إنّها فوق مضجعي** **وقد شطّ عنّي بالغدير مقيلها** **فيا ليلة ما كان أنعم بثّها** **تبارح غاويها وغاب عزولها** **وما ضرّني منها وقد بتّ راضياً** **بباطلها إن بان صبحاً بطولها**	الشريف المرتضى	٧٥

	فلمّا تجلّى الليل بالصبح وأمحت دياجر مرخاة علينا سدولها أفقت فلم يحصل علي من الذي خدعت به إلاّ ظنون أجيلها		
٣٤	إذا أرسلت طيفاً يذكرني الجوى رددت إليّها بالنجاح رسولها	البحتري	٧٦
٣٥	وليلة هوّمنا على العيس أرسلت بطيف خيال يشبه الحقّ باطله	البحتري	٧٦
٣٦	أهلاً بطيفك من زور أتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول	جرّان العود	٤١
٣٧	أرجم في ليلي الظنون وأرتجي أوائل حبّ أخلفتني أوائله وليلة هوّمنا على العيس أرسلت بطيف خيال يشبه الحقّ باطله فلولا بياض الصبح كان تشبّثي بعطفي غزال بتّ وهناً أغازله وكم من يدٍ للّيل عندي حميدة وللصبح من خطب تذمّ غوائله	البحتري	٦٩ – ٧٠
	قافية الميم		
٣٨	لئن كان حظّي عاقني عن سعادتي فإنّ رجائي واثق بحليم	الشريف المرتضى	٢٤

	وإنْ كنت في زاد التقيّة والتقى فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم		
٣٩	إنّ التي طرقتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام باتت تعللنا وتحسب إنّنا في ذاك أيقاظ ونحن نيام حتى إذا انصدع الصباح لناظر فإذا وذلك بيننا أحـلام	القس عبد الرحمن بن عبد الله	٣٣ – ٣٤
٤٠	طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام لو كان عهدك كالذي عاهدتنا لوصلت ذاك فكان غير رمام	جرير	٣٥ – ٣٦
٤١	إذا ما نأت عني حننت وإن دنت فابعد من بيض الأنوق كلامها وتمنع عيني وهي يقظى حلالها وتبذل لي عند المنام حرامها	الفرزدق	٣٨ ، ٨٨
٤٢	ألمّت بنا بعد الهدوء وربّما ألمّ بنا من ليس نرجو لمامه فيا لك من يوم شحطت بياضه فلم يعدني حتّى رضيت ظلامه ومن مغرم يقلي لذيذ انتباهه ويهوى لمّا جرّ المنام منامه	الشريف المرتضى	٨٦ – ٨٧

	ومن مسعف جنحا بطيب عناه وكم حرم العشّاق صبحاً كلامه فإن لم يكن حقّاً فقد بات مغرم يداوي بتلك الباطلات سقامه فحبّ به من باذل لي حلاله وفادٍ بذاك البذل منّي حرامه ومن ملتقىّ عذب المذاق ربحته فلم يرض لي حتّى ربحت أثامه ولا عيب فيه غير قرب زواله على أنّ مشتاقاً أراد دوامه		
٤٣	زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم	أبو تمام	٨٥
٤٤	زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم ظبئ تقنّصته لمّا نصبت له من آخر الليل أشراكاً من الحلم ثمّ اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولاً من السقم	أبو تمام	٤٠
٤٥	زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم ظبي تقنّصته لمّا نصبت له من آخر الليل أشراكاً من الحلم	أبو تمام	٦٠

	ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولاً من السقم		
٤٦	وما انفك داعي البين حتّى تزايلت قباب بناها حاضر وخيام عشيّت ما بي عن شُبيث ترحل فأمضي ولا لي في شُبيث مقام فما نلتقي إلاّ على حلم هاجد يحلّ لنا جدواك وهو حرام إذا ما تبادلنا النفائس خلتنا من الجد أيقاظاً ونحن نيام	البحتري	٦٨ – ٦٩
٤٧	يا لها لذّة تنزّهت الأر واح فيها سرّاً من الأجسام مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير إنّا في دعوة الأحلام	أبو تمام	٥٩
٤٨	الليالي أحفى بقلبي إذا ما جرّحته النوى من الأيام يا لها لذّة تنزهت الأرواح فيها سارٍ من الأجسام مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير إنّا في دعوة الأحلام	أبو تمام	٧٨
٤٩	فما نلتقي إلاّ على حلم هاجد يحلّ لنا جدواك وهي حرام	البحتري	٨٧

٥٩	أبو تمام	**الليالي أحفى بقلبي إذا ما** **جرّحته النوى من الأيام**	٥٠
٤٢	أبو تمام	**الليالي أحفى بقلبي إذا ما** **جرّحته النوى من الأيام** **يا لها لزة تنزهت الأر** **واح فيها سرّاً من الأجسام** **مجلس لم يكن لنا فيه عيب** **غير إنّا في دعوة الأحلام**	٥١
٦١	أبو تمام	**زار الخيال لها لا بل أزاركه** **فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم**	٥٢
٥١	الشريف المرتضى	**بنّا فما نأمل في لقائنا** **ذات الثنايا الغرّ إلاّ الحلما** **أهوى وإن كانت لنا تعلة** **طيفاً يوافي منكم مسلما** **يبذل به ما بعد ما ضنّ به** **وشافعي النوم العذار والغما** **وجاد حلا والدجى شعارنا** **بنائل لو كان صبحاً حرما** **أحبب بها إلمامة مأمونة** **وزورة يزيح فيها التهما** **وجدت فيها كلما أحببته** **لكن وجداناً يضاهي العداما**	٥٣

	ما علمت نفسي بماذا أحببت ولا الذي جاد عليها علما		
قافية النون			
٥٤	أنست بها عشرين حولاً فبعتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني وما كان ظنّي إنني سأبيعها ولو خلّدتني في السجون ديوني فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مكوي الفؤاد حزين وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من ربّ بهنّ ضنين	أحمد بن علي بن سلك الغالي	١٩
٥٥	ماذا على زائري ليلاً على سنة لو زار صبحاً وطرف العين يقظان زيارة الطيف ضرب من قطيعته ووصل من لا تراه العين هجران وليس ينفعني والبعد أعلمه قرب أتاني به ظنّ وحسبان	الشريف المرتضى	٥٠
٥٦	تأوّب صحبتي وهم هجود خيال طارق من أم حصن ألم ترها إليك اليوم جاءت بملء العين من كرم وحسن	النمر بن تولب	٣٣

قافية الواو			
٥٧	وزور خيال بعد وهن ألمّ بي وأحشاؤه من فرط خيفته تهفو	البحتري	٤٨ ، ٧٩
قافية الياء			
٥٨	لعمري لقد نبّهت يا هند ميّتاً قتيل كرىً من حيث أمسيت نائيا فطافت باطلاح وطلحي كأنّما سقوا بحمام الموت للموت ساقيا فباتت بنا ضيفاً دخيلاً ولا أرى سوى حلم جاءت به الريح ساريا وكنت إذا ما الريح جاءت بنشرها اليّ سقتني ثمّ عادت بدائيا	الفرزدق	٣٧ – ٣٨
٥٩	وإنّي لأستغشى زماني نعسه لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا	قيس بن الملوّح	٣٦
٦٠	طيف تأوّب من سُعدى فحيّاني أهواه وهو بعيد النوم يهواني فيا لها زورة يشفى الغليل بها لو أنّها جلبت يقظى ليقظانِ مهزوزة إنْ مشت لم تلق هزّتها في الخيزران ولم توجد مع البان يدني الكرى شخصها منّي ويبعدني وجد فيبعد منّي شخصها الداني	البحتري	٤٧ – ٤٨

٦١	**أيا زائراً بالليل من غير ان تسري** **وهل زائر بالليل من غير أن يسري**	الشريف المرتضى	١١

فهرس الأعلام

		٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٧ ٨٨
١٢	بروكلمان .	٩
١٣	بهاء الدولة .	١٣ ، ١٦ ، ١٧ ١٨
١٤	التبريزي .	١٩
١٥	أبو تمام .	٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ٦٠ ، ٦١ ، ٧٨ ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦
١٦	الجاحظ .	٦٥
١٧	جرجي زيدان .	٩
١٨	جرّان العود .	٤١ ، ٤٢
١٩	جرير .	٣٥ ، ٨٢
٢٠	جمال الدين بن تغري بردي .	١٧
٢١	الجوهري .	٨١
٢٢	حسّان بن ثابت .	٣٠
٢٣	أبو الحسن الجندي .	٢١

		٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ٣٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ٥٤ ، ٧٣
٤٥	الشريف المرتضى .	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ٨٦ ، ٨٧
٤٦	شوقي ضيف .	١٣
٤٧	الصهرشتي .	٢٢

٤٨	ابن طبا طبا .	٦٥
٤٩	طرفة بن العبد .	٣٢
٥٠	الطوسي .	٢١
٥١	عبد الرازق محيي الدين .	٢٥
٥٢	عبد الرحمن عثمان .	٨٣
٥٣	عبد السلام هارون .	٢٤
٥٤	أبو عبد الله جعفر الرازي الدور يستي .	٢٢
٥٥	عبيد الله بن الأبرص .	٣١
٥٦	أبو عبيدة .	٦٥
٥٧	علي بن بابويه القمّي .	٢٠
٥٨	العماد الحنبلي .	١٦
٥٩	عماد الدين ذو الفقّار الضرير .	٢٢
٦٠	عمر رضا كحالة .	٩
٦١	عمرو بن قميئة .	٢٩ ، ٧٤
٦٢	عيسى البابي الحلبي .	٦
٦٣	الفارابي .	١٥
٦٤	فاطمة بنت أبي محمد الحسن .	١٧
٦٥	أبو الفتح الكراجكي .	٢٢
٦٦	أبو الفرج الأصفهاني .	٣٣
٦٧	الفرّاء .	٤٦
٦٨	الفرزدق .	٣٧ ، ٣٨ ، ٨٢ ، ٨٨

٦٩	ابن قتيبة .	٢٩
٧٠	القس عبد الرحمن بن عبد الله .	٣٣
٧١	قطرب .	٤٦
٧٢	قيس بن الخطيم .	٣٠
٧٣	قيس بن الملوّح .	٣٦
٧٤	الكميت .	٣٧
٧٥	المتنبئ .	١٥ ، ٣٩ ، ٤٠
٧٦	أبو محمد بن المرتضى .	٢٥
٧٧	محمد بن محمد بن النعمان .	٢٠
٧٨	محمد زغلول .	٦٤
٧٩	محمد مندور .	٨٢
٨٠	محمود حسن أبو ناجي .	٦
٨١	المرزباني .	٢٠
٨٢	ابن المعتز .	٦٥
٨٣	ابن منظور .	١٠
٨٤	ابن نباتة السعدي .	٢٠
٨٥	ابن نجم الحلبي .	٢٢
٨٦	النمر بن تولب .	٣٣
٨٧	ياقوت الحموي .	٩ ، ١٠ ، ٣٩
٨٨	يعقوب .	٤٦
٨٩	أبو يعلي الديلمي سالار .	٢١

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

الرقم	المصدر أو المرجع
١	أدب الشريف المرتضى ، للدكتور عبد الرازق محيي الدين ط/ ١٩٥٧م ، دار المعارف ، بغداد .
٢	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف ، خير الدين الزركلي ، ط١٠ ، ١٩٩٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان .
٣	أغاني لأبي الفرج الأصفهاني .
٤	تاريخ بغداد ، تأليف أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميّة بيروت ، لبنان .
٥	تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول ، دار المعارف مصر .
٦	ديوان امرئ القيس ، ط/ دار المعارف ، مصر .
٧	ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، طبعة دار المعارف مصر. وطبعة شرح وتقديم حنّا الفاخوري ، ط١ ، دار الجيل بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٨	ديوان أبي تمام ، تحقيق إيليا الحاوي ، وطبعة بتحقيق محمد عبده عزّام دار المعرف مصر . وطبعة من الديوان شرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف ، ١٩٦٤م القاهرة .
٩	ديوان جرير ، شرح يوسف عيد ، ط/ دار صادر ، بيروت .
١٠	ديوان الشريف المرتضى ، شرح د. محمد التونجي ، ط١ ، ١٤١٧هـ –

	١٩٩٧م ، دار الجيل ، بيروت ، وطبعة تحقيق رشيد الصفّار المحامي ، مطبعة عيسى البابي .
١١	ديوان الشريف الرضي ، تحقيق اللبابيدي ، ط/ دار صادر ، بيروت
١٢	ديوان طرفة بن العبد ، شرح يوسف الأعلم ، الشنتمري ، ط/ شالوت
١٣	ديوان العذريين ، سرح يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت .
١٤	ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق وشرح ، حسن كامل الصيرفي ط/ معهد المخطوطات العربيّة .
١٥	ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت .
١٦	سير أعلام النبلاء ، تحقيق علي شعيب الأرناؤوط ، وآخرون .
١٧	شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للعماد الحنبلي ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت .
١٨	الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف .
١٩	شعر قيس بن الخطيم ، لابن السكيت ، حققه ناصر الدين الأسد ، ط١ ، ١٩٦٢م .
٢٠	الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة) إسماعيل بن حمّاد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م بيروت .
٢١	طبقات فحول الشعراء ، صنعة أبو عبد الله بن سلام الجمحي ، طبعة على نسخة خطيّة قديمة قوبلت على نسخة طبع أوربا .
٢٢	طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق د. محمود حسن أبو ناجي ط١ ١٩٨٤م
٢٣	العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، ط/ ١٩٧٥م ، دار المعارف

	مصر .
٢٤	غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ، ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، دار الكتب العلميّة ، بيروت
٢٥	قطوف أدبيّة ، عبد السلام هارون ، ط١ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م مكتبة السنّة .
٢٦	الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار صادر بيروت .
٢٧	لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، ط١ ، بيروت .
٢٨	معالم النقد الأدبي ، ، عبد الرحمن عثمان ، القاهرة ١٩٩٦م .
٢٩	معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربيّة ، تأليف عمر رضا كحالة ، ط١ بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
٣٠	معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي تحقيق إحسان عبّاس ، ط١ ، ١٩٩٣م دار الغرب الإسلامي
٣١	معجم الشعراء ، للمرزباني .
٣٢	الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، مصر ١٩٦٣م .
٣٣	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين بن تغري بردي ط/ مصورة عن دار الكتب ، المؤسسة المصريّة .
٣٤	النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللّغة ، مترجم عن الأستاذين لاتسون ، ومايبه للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة .
٣٥	وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. يوسف علي طويل ، ود. مريم

قاسم طويل ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، دار الكتب العلميّة منشورات محمّد علي بيضون ، بيروت لبنان .	

فهرس الموضوعات